



اللَّهُ هُوَ الطَّبِيبُ



كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٨ / ١٤٢٩

مكتبة سوق الآخرة

هاتف : ٠١٠١٦٥٧١٧٣ - ٣٢٨٧١٨٩

دار التقوى

للنشر والتوزيع

شبرا الخيمة

هاتف : ٢٢٣١١٠٣ - ٤٧٣١٨٢٤ - ٤٧١٥٥٠٣



الله

هو الطيب

جمع وترتيب

www.yaqob.com
محمد بن حسين آل يعقوب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

yaqob.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ
رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِزْ وَتَمِّمْ بِخَيْرٍ يَا كَرِيم

نداء

إِلَى كُلِّ مُبْتَلَى ..

يَا صَاحِبَ الْبَلَاءِ .. أَبْشِرْ ...

أَبْشِرْ .. قَالَ اللَّهُ عِنْدَكَ : فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ تَعَالَى مُعَاتِبًا
عَبْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : «أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضٌ فَلَمْ
تَعُدَّهُ؟ أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟» ..

أَبْشِرْ .. قَالَ اللَّهُ يُحِبُّكَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ» ..

أَبَشِّرْ .. الْمَلَائِكَةُ تَحْفُكَ : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَرِيضَ فَقُولُوا خَيْرًا ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ » ..
أَبَشِّرْ .. أُرِيدَ بِكَ وَلَكَ الْخَيْرُ : قال رسول الله ﷺ :
 « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ » ..

أَبَشِّرْ .. بِمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ : قال رسول الله ﷺ :
 « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ إِلَّا كُفِّرَ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا » ..

أَبَشِّرْ .. بِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ : قال رسول الله ﷺ :
 « مَا مِنْ رَجُلٍ يُصَابُ بِشَيْءٍ فِي جَسَدِهِ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ ؛
 إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهِ دَرَجَةً
 وَحَطَّ عَنْهُ بِهِ خَطِيئَةٌ » ..

أَبَشِّرْ .. يَا حُدَى الْحَسَنِيِّينَ : « يَقُولُ اللهُ : إِنَّ لِعَبْدِي هَذَا عَلِيٌّ
 إِنَّ أَنَا تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ أَنَا شَفَّيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَهُ لَحْمًا
 خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ وَأَغْفِرَ لَهُ » ..

أَبَشِّرْ .. فَأَنْتَ فِي كُلِّ حَالٍ بِخَيْرٍ .. مَا صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ .



إِلَى كُلِّ مَرِيضٍ ..

إِلَى أَصْحَابِ الْأَسْرَةِ الْبَيْضَاءِ ...
قُولُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ ..

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَنْتَلِيكُمْ بِالْمَرَضِ إِلَّا لِيُطَهِّرَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ،
أَوْ لِيَرْفَعَ دَرَجَاتِكُمْ عِنْدَهُ ، أَوْ لِيُخْتَبِرَ صَبْرَكُمْ وَرِضَاكُمْ عَلَى
قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ : لِيَنْظُرَ مَاذَا تَعْمَلُونَ .
ثُمَّ اعْلَمُوا أَحِبَّتِي إِنَّ الْبَلَاءَ عَلَيْكُمْ ضُيُوفٌ ، فَأَكْرِمُوا نُزْلَهَا ،
وَلَا تَدْعُوهَا تَرْحَلْ إِلَّا حَامِلَةً شُكْرَكُمْ وَرِضَاكُمْ عَلَى تَذْيِيرِ رَبِّكُمْ .
وَإِنَّ مَنْ نَزَلَتْ بِهِ بَلِيَّةٌ ، فَأَرَادَ الصَّبْرَ عَلَيْهَا ،
فَلْيَتَصَوَّرْهَا أَكْثَرَ مِمَّا هِيَ تَهْنُ .

وَلْيَتَخَيَّلْ ثَوَابَهَا ، وَلْيَتَوَهَّنْ نُزُولَ أَعْظَمِ مِنْهَا :
يَرِ الرُّبْحَ فِي الْاِقْتِصَارِ عَلَيْهَا .

وَلْيَتَلَمَّحْ سُرْعَةً زَوَالِهَا ؛
فَإِنَّهُ لَوْلَا كُرْبُ الشُّدَّةِ ؛ مَا رُجِيَتْ سَاعَاتُ الرَّاحَةِ .
 وَلَتَعْلَمَ - أَهْيَا الْحَبِيبُ الْمُحِبُّ - أَنَّ مُدَّةَ مُقَامِهَا عِنْدَكَ ،
 كَمُدَّةِ مُقَامِ الضَّيْفِ يَتَفَقَّدُ حَوَائِجَهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ،
 فَيَا سُرْعَةَ انْقِضَاءِ مُقَامِهِ ، وَيَا لَذَّةَ مَدَائِحِهِ وَيَشْرَهُ فِي الْمَحَافِلِ ،
 وَوَضْفِ الْمُضَيَّفِ بِالْكَرَمِ .
 فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ فِي الشُّدَّةِ ، يَتَّبِعِي أَنْ يُرَاعِيَ السَّاعَاتِ ،
 وَيَتَفَقَّدَ فِيهَا أَحْوَالَ النَّفْسِ ، وَيَتَلَمَّحَ الْجَوَارِحَ ؛
 مَخَافَةً أَنْ يَبْدُوَ مِنَ اللِّسَانِ كَلِمَةً ، أَوْ مِنَ الْقَلْبِ تَسْخُطٌ ،
 فَكَأَنَّ قَدْ لَاحَ فَجْرُ الْأَجْرِ ؛ فَانْجَابَ لَيْلُ الْبَلَاءِ ،
 وَمُدِحَ السَّارِي بِقَطْعِ الدُّجَى ،
 فَمَا طَلَعَتْ شَمْسُ الْجَزَاءِ ؛ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِ السَّلَامَةِ .
وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ فِي قُلُوبِنَا ،
 وَتَيَقَّنُوا أَنَّ هُنَاكَ الْأَلْفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 يَدْعُونَ لَكُمْ بِالْعَافِيَةِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ ،
ثُمَّ فِي النِّهَايَةِ أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ ؛ فَمَا ابْتَلَاكُمْ إِلَّا لِأَنَّهُ يُحِبُّكُمْ .



إِلَى كُلِّ مُعَافٍ ..

اِحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ ...

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ ؛ فَكَأَنَّمَا حَبِرَتْ لَهُ الدُّنْيَا » (حسن ، ابن ماجه : ٣٣٤٠) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْطَ عَبْدٌ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ » (صحيح ، مسند أحمد : ٨/١) .

وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ..

فَإِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ كَيْفَ سَيَكُونُ حَالُكُمْ ..

وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَرْضَى الْمَطْرُوحِينَ عَلَى الْأَسْرَةِ فِي الْمُسْتَشْفَيَاتِ يَحْتَاجُونَ إِلَى دُعَائِكُمْ ، وَزِيَارَاتِكُمْ ، وَمُسَانَدَتِكُمْ لَهُمْ ، وَتَشْيِيتِكُمْ لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ وَالشُّمَاتَةَ بِهِمْ .

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلَعَلَّ اللَّهَ أَسْقَاهُ بِهَذَا الْبَلَاءِ دَوَاءً نَافِعًا اسْتَخْرَجَ بِهِ مِنْهُ دَاءً قَاتِلًا هُوَ فِيكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ ، فَلَا تَشْمَتْ .

بل لعل أهل البلاء قد فُضِّلُوا عليكم بهذا البلاء ؛ فقد نالوا - على الأقل - خيراً واحداً مما بشرهم به ربهم ﷺ ورسوله الكريم ﷺ .

واعلموا أنكم سوف تَحْسُدُونَهُمْ على ذلك الفضل الذي نالوه بصبرهم على البلاء ؛ حين ينالون الأجر على هذا الصبر بين يدي اللطيف الودود ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ ؛ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ» (حسن ، الصحيحة : ٢٢٠٦) .

واعلموا أيضاً أَنَّ الْعَافِيَةَ خَيْرٌ لَكُمْ ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : «سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ؛ قَالَ : « فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِي الْآخِرَةِ ؛ فَقَدْ أَقْلَحْتَ » (حسن ، أحمد : ١٢٧/٣) .

وكان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول : لَا تَكْثُرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ، وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَزْبَابٌ ، وَانْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عبيدٌ ؛ فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلَى وَمُعَافَى ؛ فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ ، وَأَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ .

نَسْأَلُ اللَّهَ بِرَحْمَتِهِ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ ،

وَتِمَامَ الْعَافِيَةِ ، وَدَوَامَ الْعَافِيَةِ ،

وَشُمُوعَ الْعَافِيَةِ ، وَالشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ .





إِلَى كُلِّ مُعَالِجٍ ..

اتَّقُوا اللَّهَ فِي الْمَرْضَى ...

فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا رَزَقَكُمْ الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ ؛
لِتَكُونُوا سَبَبًا فِي تَخْفِيفِ الْأَلَمِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ؛
فَلَا تَكُونُوا أَنْتُمْ سَبَبَ آلامِهِمْ ..

لَا تُزْهِقُوهُمْ بِكَثْرَةِ الْأَدْوِيَةِ ؛ فَإِنَّمَا الشَّافِي هُوَ اللَّهُ ..

لَا تُفْزِعُوهُمْ بِالْوَضْفِ الْكَثِيرِ لِلْبَلَاءِ ؛
فَتَتَعَلَّقَ قُلُوبُهُمْ بِالْبَلَاءِ وَبِكُمْ دُونَ تَعَلُّقِهَا بِبَارِئِهَا ..

عَامِلُوهُمْ بِالْحُسْنَى ؛

فَإِنَّ حَيَاتَهُمْ وَمَوْتَهُمْ لَيْسَ فِي أَيْدِيكُمْ ؛ بَلْ فِي يَدِ خَالِقِهِمْ ..
نَصِيحَةٌ : لَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِمْ مَعَ الْبَلَاءِ هُمَا ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَعَثَ بِلُطْفِهِ السَّحَابَ ، فَرَوَى الْأُودِيَّةَ
وَالْهَضَابَ ، وَأَثَبَتَ الْحَدَائِقَ وَأَخْرَجَ الْأَغْنَابَ ، وَالْبَسَ
الْأَرْضَ بِنَاتًا أَحْسَنَ مِنْ ثِيَابِ الْعُنَابِ ، يَبْتَلِي لِيُدْعَى وَإِذَا
دُعِيَ أَجَابَ ، قَضَى عَلَى آدَمَ بِالذَّنْبِ ثُمَّ قَضَى أَنْ تَابَ ،
وَرَفَعَ إِدْرِيسَ بِلُطْفِهِ إِلَى أَكْرَمِ جَنَابَ ، وَأَرْسَلَ الطُّوفَانَ
وَكَانَتِ السَّفِينَةُ مِنَ الْعُجَابِ ، وَنَجَّى الْخَلِيلَ مِنْ نَارِ شَدِيدَةِ
الْإِتْهَابِ ، وَكَانَتْ سَلَامَةُ يُوسُفَ عِبْرَةً لِأُولَى الْأَلْبَابِ .

وَشَدَّدَ الْبَلَاءَ عَلَى أَيُّوبَ فَفَارَقَهُ الْأَهْلُ وَالْأَصْحَابَ ،
وَعَصَّهُ الْبَلَاءُ إِلَى أَنْ كَلَّ الظُّفْرُ وَالنَّابَ ؛ فَنَادَى مُسْتَعِثًا
بِالْمَوْلَى فَجَاءَ الْجَوَابُ : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ
وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢] .

أَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ أَخْلَصَ وَأَتَابَ ، وَأُصَلِّي عَلَى رَسُولِهِ
أَفْضَلَ نَبِيِّ نَزَلَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ كِتَابَ ، وَعَلَى صَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ
مُقَدِّمَ الْأَصْحَابِ ، وَعَلَى الْفَارُوقِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،
وَعَلَى عُثْمَانَ شَهِيدِ الدَّارِ وَقَتِيلِ الْمِخْرَابِ ، وَعَلَى عَلِيٍّ
الْمَهِيْبِ وَمَا سَلَ سَيْفًا بَعْدَ مَنْ قَرَّابَ ، ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ
نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] .

إِخْوَتِي فِي اللَّهِ ..

وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ؛ إِنِّي أُحِبُّكُمْ فِي اللَّهِ ،
وَأَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَجْمَعَنَا بِهَذَا الْحُبِّ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ
يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلَنَا كُلَّهُ صَالِحًا ،
وَاجْعَلْهُ لَوَجْهِكَ خَالِصًا ، وَلَا تَجْعَلْ فِيهِ لِأَحَدٍ غَيْرِكَ شَيْئًا .

وبعد....

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا
مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ ﴿[الشعراء: ٧٨-٨٠] .

وقال رسول الله ﷺ : «الله هو الطَّيِّبُ» .

(الصحيحة : ١٥٣٧) .

في زمانٍ كَثُرَتْ فيه الأمراض والأوبئة وعمَّ البلاء ؛ نحتاج إلى وقفةٍ مع قضية المرض والشفاء ؛ ليتبين فيها موقف المسلم الذي يريد النجاة دون عناء ، ولتعلق قلوب المسلمين بالله الطبيب الشافي الرفيق الرؤوف الرحيم الباري .

وهذه القضية لا بد أن توزن بميزان علمي دقيق ؛ لأن جملة أحكام المرض والتداوي والعدوى والتطير تشتمل على جملة كبيرة من التعبيدات والأحوال التي لا ينالها إلا أصحاب المقامات الرفيعة عند الله ﷻ .

ولعل البلاء يأتي أكثره كلما اقترب الإنسان من ربه أكثر ، وتقرب إليه بالتعبيدات أكثر :

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ **مُنْذُ أَسْلَمَ** ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأْلَمُ مِنْ

جَسَدِكَ وَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا ، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ » (مسلم : ٢٢٠٢) .

فتأمل معي أن بلاءه أصابه منذ أسلم ، وتعال فورًا إلى قضية العلاج ، وكيف دلّه رسول الله ﷺ على أن يتداوى باسم الله أولاً ، فيضع يده على موضع الألم ويقول : « بسم الله » ، هذا الاسم العظيم (الله) هو سر الشفاء ؛ بل هو سر الحياة .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : « لهذا الاسم الشريف خصائصه المعنوية ، فقد قال أعلم الخلق بربه ﷺ : « لَا أُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » (مسلم : ٤٨٦) ، وكيف نحصي خصائص اسم لمسماه كلُّ كمالٍ على الإطلاق ، وكلُّ مدح وحمد ، وكلُّ ثناء وكلُّ مجد ، وكلُّ جلالٍ وكلُّ كمال ، وكلُّ عز وكلُّ جمال ، وكلُّ خير وإحسان وجود وفضل وبر فله ومنه ، فما ذكر هذا الاسم في قليلٍ إلا كثُرَ ، ولا عند خوفٍ إلا أزالَهُ ، ولا عند كربٍ إلا كشفَهُ ، ولا عند همٍّ وغَمٍّ إلا فرّجَهُ ، ولا عند ضيقٍ إلا وسعَهُ ، ولا تعلق به ضعيفٍ إلا أفاده القوة ، ولا ذليلٍ إلا أناله العز ، ولا

فقير إلا أصاره غنياً ، ولا مستوحش إلا آنسه ، ولا مغلوب إلا أيده ونصره ، ولا مضطر إلا كشف ضره ، ولا شريد إلا آواه ، فهو الاسم الذي تكشف به الكربات ، وتستنزله به البركات ، وتجاب به الدعوات ، وتقال به العشرات ، وتسدفع به السيئات ، وتستجلب به الحسنات .

وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسموات ، وبه سَعِدَ من عرفه وقام بحقه ، وبه شَقِيَ من جهله وترك حقه ، فهو سر الخلق والأمر ، وبه قاما وثبتا ، وإليه انتهيا ، فالخلق به وإليه ولأجله ، فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئاً منه منتهياً إليه » اهـ .

ثم دله رسول الله ﷺ على بقية العلاج : « أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقَلْبَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ » ؛ فيستعيذ أي : يلتجئ ويحتمي بالله متوسلاً بصفيتين من صفات الكمال الإلهي : العزة والقدرة ؛ فاحتماؤه بالعزة يملأ قلبه غنى حتى لا يلتفت قلبه إلى غير الله ، فالعزيز لا يغالب ، واحتماؤه بالقدرة يملأ قلبه يقيناً وقوة ؛ لأنه طلب النصر من القادر

على كل شيء ، الذي بيده ملكوت كل شيء .
وهكذا - أخي الحبيب - اعتصم وتوسل .

وبالحب كتبت لك هذه الرسالة ، أسأل الله أن تكون
بلسماً شافياً ، وعوناً ومداوياً لجميع مرضى المسلمين .
قَالَلَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ لَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ طَرْفَةُ عَيْنٍ أَبَدًا ، وَطَبِّبْ
بِفَضْلِكَ أَسْقَامَنَا ، وَأَبْرِئْ بَعْفُوكَ أَوْجَاعَنَا ، فَأَنْتَ طَبِيبُنَا ،
وَأَنْتَ حَبِيبُنَا ، وَأَنْتَ إِلَهَنَا وَرَبُّنَا ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا لَيْسَ لَنَا غَيْرُكَ .. نَبِيتُ وَنَضْحُو فِي خَيْرِكَ ..
اللَّهُمَّ لَا تَحُوجِّنَا إِلَى طَبِيبٍ غَيْرِكَ ..

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ الْعَافِيَةَ ،
وَأَنْ تَمْسَحَهُمْ بِيَدِكَ الشَّافِيَةَ ..

وَكُتِبَ

مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنٍ آلِ بَقَرٍ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَزَوْجَاتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ

لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ غُرَّةَ رَجَبِ الثَّانِي ١٤٢٩ هـ

حبيبي : يا أسيرَ الله في السَّريِر

اعلم حبيبي أنَّ من إيماننا بالله ﷻ إيماننا بأن الله سبحانه خالق كل شيء ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] ، فلا بد من الإيمان بالقضاء والقدر .

وإذا كنت أخي الحبيب المسلم تؤمن بالقضاء والقدر بأركانه الأربعة : العلم ، والكتابة ، والمشية ، والخلق والإيجاد ؛ فيجب أن يركز يقينك على أنه إذا كان المرض بقدر فالشفاء أيضًا بقدر ، هذا وذاك من خلق الله ، فالله خالق المرض ﷻ القاهر فوق عباده ، هو سبحانه خلق الشفاء جل جلال الله البر اللطيف بعباده : ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠] .

ثانيًا: إنَّ كثرة الأمراض وتنوعها سببه الأصلي والرئيس عقوبات على ذنوب الناس ؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ

الْمُهَاجِرِينَ ، خَمْسٌ إِذَا ابْتَلَيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ
تَذَرِكُوهُنَّ ؛ لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُغْلَبُوا بِهَا
إِلَّا فَشًا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي
أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا
أَخَذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَثُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ
يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلَا
الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا
سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بِغَضِّ مَا فِي
أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ
اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهَمِهِمْ بَيْنَهُمْ » (صحيح ابن ماجه : ٣٢٤٦) .

ففي زماننا جَدَّتْ أمراضٌ عجيبة لم تكن في أسلافنا
حقًا ، وفشت هذه الأمراض فكثرَت ؛ فأمرض السرطان
عبادًا بالله تفشت بنسبة كبيرة بين الناس - اللَّهُمَّ عَافِ كُلَّ
مَبْتَلَى ، واشفِ كُلَّ مَرِيضٍ .

أضف إلى ذلك أمراض الفشل الكلوي والكبدية
بأنواعها كذلك عَمَّتْ وَطَمَّتْ ، - اللَّهُمَّ ارفع البلاء عن

الميتين من المسلمين - ، والجلطات القلبية والدماعية ،
وغير ذلك مما لا نحسب تسميته أو الإتيان على ذكره ،
عافانا الله تعالى وجعل شفاءنا والمسلمين سهلاً ميسوراً .

والمقصود التنبيه على أن هذه الأمراض صغيرها
وكبيرها ، خطيرها ويسيرها سببها الذنوب والمعاصي ؛
حيث يتناسب معها تناسباً طردياً في الكم والقدر .

ثالثاً : إذا تقرر لك ما سبق فليثبت يقينك أيها الحبيب
المحب أن الشافي هو الله ، وأن الشفاء يأتي بقدر الله ،
فليقو يقينك أيها الموحد أن الأطباء والمعالجين والأدوية
والعمليات كل ذلكم أسباب ، وأن خالق هذه الأسباب
مسبب الأسباب هو الذي يخلق أثرها ومقتضاها أو يبطل
أثرها ومفعولها ؛ فليتعلق قلبك بالله وحده ، وهذا هو
المقصد الأوحى من هذه الرسالة .

رابعاً : إذا ثبت علمك ويقينك أن المرض بقدر
والشفاء بقدر ، وأن سبب الأمراض الذنوب ، فهي ابتلاء
وعقوبات ، وأن الشافي هو الله ، فهو خالق الأسباب

ومسبباتها ؛ إذا ثبت ذلك كله لديك فأول واجب على المريض التوبة والإنابة والرجوع إلى الله ، والخضوع والانكسار ولزوم الدعاء والتضرع أن يرفع الله البلاء ، وأن يعود باللائمة على نفسه ؛ ليربح الرضا عن الله **تَزَوَّلَ** ، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠] .

خامساً : أظن أن مشكلة كثير من المرضى الانشغال بالبلاء عن المبتلي ، فيدفعهم ذلك إلى الإخلال ببعض الواجبات الشرعية ، فيجتمع على المريض بلاءان :
بلاء المرض ، وبلاء المعصية بالمرض ، مثل :

- ① التضجر والسخط وكثرة الشكوى .
- ② ترك الصلاة والتفريط في واجباتها وشروطها وعدم أدائها على وجهها كما ينبغي ، أو التفريط في الطهارة الواجبة ، ويتعلل في كل ذلك بأنه مريض والدين يسر . . ونحن لا ننكر ذلك ؛ ولكن إذا كان الله لا يكلف

نفساً إلا وسعها فهو وَعَالِي أعلم بوسعنا .

③ من نتيجة الانشغال بالمرض أن يفقد المريض المعاني الإيمانية العليا مثل الصبر والرضا والاحتساب والشكر ، وينسى كل النعم فلا يرى أمامه إلا هذا البلاء فيصاب بالجزع .

④ تفريط بعض النساء في الحجاب الواجب أثناء المرض ، سواء كان في التعامل مع الأطباء ، أو عند زيارات الأهل والأقارب .

وإنما أشرنا إلى كل ذلك تعليقاً أو تنبيهاً فقط لإخواننا المرضى ؛ لأنه إذا كان الشفاء بيد الله فإن ما عند الله تعالى لا يُنال إلا بطاعته ، فالتوبة من الذنوب والمعاصي ، وملازمة الطاعات الواجبة والمفروضة قدر إمكان المريض أحد أسباب الشفاء أو تعجيل الشفاء ، أما التفريط والانزعاج فإنه سيزيد البلاء بلاءً .

سادساً : ليس دوماً يتلي ليعذب ؛ بل قد يتلي ليصطفى ويهذب ، هذا أصل من أصول الوصول إلى الله

تعالى ؛ فلا تجزع أخي المريض وأنا أبشرك بإحدى
الحُسَنَيْنِ : الشفاء العاجل ومغفرة الذنوب ، أو الصبر
الجميل الذي ترفع به الدرجات ؛ ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

سابعًا : اعلم - حبيبي في الله - أن الله يربي عبده
بالسراء والضراء ، وكما قيل : بشئ عبد السراء ؛ الذي
إن جاءت الضراء قنط ، وهكذا الدنيا - حبيبي - يوم لك
ويوم عليك ، فهي دار ابتلاء ونصب ، فهنئًا لك إن ظهر
معدنك بالصبر الجميل والرضا والقبول عند امتحانك
بالضراء بعد السراء ؛ لتدخل الجنة ، وهناك لا نصب
ولا وصب ، ولا تعب ولا مرض .

هنئًا لك إن لقيت الله ناجحًا في الامتحانين : السراء
والضراء ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ؛
إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ؛ إِنْ
أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ
فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » (مسلم : ٢٩٩٩) .

الله هو الطبيب

❦ قال الله ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ﴾ ﴿٤١﴾ أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ [ص: ٤١-٤٣].

❦ وعن أبي رزمة رضي الله عنه قال: انطلقت مع أبي وأنا غلام إلى النبي ﷺ، قال: فقال له أبي: إني رجل طيب، فأرني هذه السلعة التي بظهرك، قال: «وما تصنع بها؟» قال: أقطعها، قال: «لست بطبيب، ولكنك رفيق، طبيبها الذي وضعها»، وفي رواية: «بل أنت رجل رفيق، طبيبها الذي خلقها» (الصحيحة: ١٥٧٣).

❦ وفي قصة أصحاب الأخدود: «كان الغلام يرى الأكمه والأبرص ويدأوي الناس من سائر الأذواء، فسمع

جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ : مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ؛ إِنَّمَا الشَّافِي هُوَ اللَّهُ ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ ، فَأَمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ » (مسلم : ٣٠٠٥) .

❦ وقد روي في أثر إسرائيلي : أن إبراهيم عليه السلام قال : يا رب ، مِمَّن الداء ؟ قال : مني ، قال : فِمِمَّن الدواء ؟ قال : مني ، قال : فما بال الطبيب ؟ قال : رجل أرسلُ الدواء على يديه .

حبيبي يا مسلم .. يا موحد .. يا من تحب الله ورسوله ، وترجو رحمة ربك الكريم الوهاب ، أبشرك ؛ لعلها تنزلُ على قلبك بمغتسلٍ باردٍ وشراب :

«الله هُوَ الطَّبِيبُ» ..

أبشر يا حبيب .. «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ» ..

أبشر يا حبيب .. «الله هُوَ الطَّبِيبُ» ..

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾

[الطور: ٢٨]

أبشر يا حبيب .. «الله هو الطبيب» ..

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[النور: ٢٢]

أبشر يا حبيب .. «الله هو الطبيب» ..

«وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ،
يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» ..

يا الله .. سبحان الملك !! الله يكره أن تستاء أو تحزن !!

تأمل - أيها الحبيب - كل ما سبق ؛ تأتيك البشري
على طبقٍ من ذهب ، انظر كيف أن الله هو الشافي وَسَيِّدُ الْمَلِكِ ،
هو الطبيب حَسْبُكَ ، هو الرفيق جل وعلا ، هو اللطيف :

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩].

فهو وَعَالِي يُلطف بك ، وَيُطَبِّك وَيَرْفُق بك ، ويرحمك ويعافيك ، وَلَمْ لا ؛ وقد كتب سبحانه كتابًا يومَ خلق الخلق ، فهو عنده فوق العرش : «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» وفي رواية : «إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي» ، فهو سبحانه يحب أن يرحم ، ويحب أن يغفر وَعَالِي ، هو سبحانه يحميك ، يعتني بك ، ما أتعبك إلا لِيُسْعِدَكَ ، وما أخذ منك إلا ليعطيك ، وما أبكاك إلا ليضحكك ، وما حرمك إلا ليتفضل عليك ، وما ابتلاك إلا لأنه أحبك .

ابتسم يا حبيب .. «الله هُوَ الطَّبِيبُ» ..

إن ربنا الكريم من أسمائه «الْبَرُّ» أسأل الله أن يَبْرِّكَ ، ومن برَّ الله بعبده أن يكتب لك أجر ما كنت تعمل وأنت صحيح ، ومن برَّ الله بعبده أن يسامحك في كثيرٍ من التقصير ، ومن برَّ الله بعبده أن يستجيب دعاءك وأنت تدعوه في الشدة وتنساه في الرخاء .

أبشر يا حبيب .. «الله هُوَ الطَّبِيبُ» ..

لا تجزع ؛ فمهما طال المرض فله أمدٌ سينتهي إن شاء الله ، ومهما تألم جسدك فإياك أن يصل الألم إلى قلبك ؛ وذلك بأن تستشعر لطف الله ورحمته وبرّه ، وتذكر دوماً :

﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾ [يوسف : ١٠٠] .

والعبد الرباني يسير دوماً بين عطف الله ولطفه ؛ فعطفه سبحانه جل جلاله يقيك ما تحذره ، ولطفه تبارك وتعالى يرضيك بما يُقدّره ، والقلب الراضي يسير بين مشاهدة المنة ومطالعة الفضل ، قال سبحانه :

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴾
[الكهف : ٥٨]

أبشر يا حبيب .. « الله هو الطبيب » ..

إصبر .. وصابر .. واصطبر .. وتنسم رُوح الرضا ،
تُلهم نسيم العافية .

إنك حين تستشعر معاني أن الله سُبْحَانَهُ هو الطبيب ؛
 ترضى أن يكون طبيبك هو الله ، فالله الطبيب لا تخفى
 عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، الله الطبيب يرى
 ألمك ، ويسمع أنينك ، وهو أقرب إليك من حبل
 الوريد ، وأرحم بك من أمك ، وأعلم بك من نفسك ،
 فيا بشراك إن رضيت الله طبيبك !!

أبشر يا حبيب .. « الله هو الطبيب » ..

وقوله سُبْحَانَهُ : « الله الطبيب ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ ،
 طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا » : مَعْنَى هَذَا أَنَّ الْمُعَالِجَ لِلْمَرِيضِ مِنْ
 الْأَدْمِيِّينَ وَإِنْ كَانَ حَازِقًا مُتَقَدِّمًا فِي صَنْعَتِهِ فَإِنَّهُ لَا يُحِيطُ
 عِلْمًا بِنَفْسِ الدَّوَاءِ وَإِنْ عَرَفَهُ وَمَيَّزَهُ فَلَا يَعْرِفُ مِقْدَارَهُ ،
 وَلَا مِقْدَارَ مَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ مِنْ بَدَنِ الْعَلِيلِ وَقُوَّتِهِ ،
 وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى مُعَالَجَتِهِ إِلَّا مُصَمِّمًا عَالِمًا بِالْأَغْلَبِ مِنْ
 رَأْيِهِ وَفَهْمِهِ ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ فِي مَنَزَلَةِ الدَّوَاءِ كَمَنَزَلَةِ الْعِلَّةِ الَّتِي
 ذَكَرْنَاهَا فِي عِلْمِ الدَّاءِ فَهُوَ كَذَلِكَ رَبُّمَا يُصِيبُ وَرَبُّمَا
 يُخْطِئُ ، وَرَبُّمَا يَزِيدُ فَيَغْلُو وَرَبُّمَا يُنْقِصُ فَيَلْغُو .

فَاسْمُ الرَّفِيقِ إِذَنْ أَوْلَى بِهِ مِنْ اسْمِ الطَّبِيبِ ؛ لِأَنَّهُ
يَرْفُقُ بِالْعَلِيلِ فَيُحْمِيهِ مِمَّا يُخْشَى أَنْ لَا يَتَحَمَّلَهُ بَدَنُهُ
وَيُسْقِيهِ مَا يَرَى أَنَّهُ أَزْفَقُ بِهِ .

فَأَمَّا الطَّبِيبُ فَهُوَ الْعَالِمُ بِحَقِيقَةِ الدَّاءِ وَالِدَوَاءِ وَالْقَادِرُ
عَلَى الصُّحَّةِ وَالشِّفَاءِ وَلَيْسَ بِهَذِهِ الصُّفَةِ إِلَّا الْخَالِقُ الْبَارِئُ
الْمَصَوِّرُ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّى بِهَذَا الْإِسْمِ أَحَدٌ سِوَاهُ .

فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ لَا طَبِيبَ ، وَلَا شَافِيَّ ،
وَلَا مُصَحِّحَ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي
خَلَقَ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ فَهُوَ الطَّبِيبُ ، فَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَيَنْقَطِعُ إِلَيْهِ
وَيَعْتَصِمُ بِهِ وَيَلْجَأُ فِي مَرَضِهِ وَصِحَّتِهِ إِلَيْهِ ثِقَةً بِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ
قَدْ عَلَّمَ أَيَّامَ الْمَرَضِ وَأَيَّامَ الصُّحَّةِ ، فَلَوْ حَرَصَ الْخَلْقُ
عَلَى تَقْلِيلِ ذَلِكَ أَوْ زِيَادَتِهِ لَمَا قَدَرُوا .

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢] ،
ثُمَّ يَتَنَاوَلُ الدَّوَاءَ وَيَسْتَعْمِلُهُ كَمَا يَسْتَعْمِلُ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ

بِمَجَرَّدِ الْأَمْرِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِنْ أَوْصَلَهُ إِلَى الدَّوَاءِ بَرِيءٌ وَإِنْ حَاجَبَهُ بِمَانِعٍ يَمْنَعُهُ وَقَدَّرَ بِمَوْتِهِ لَمْ يَنْفَعُهُ ، لَكِنَّهُ مَا جُورَ عَلَى مَا أَمَرَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ وَفِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ .

وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ : « لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ » فَيَعْتَقِدُ الشِّفَاءَ لَهُ وَبِهِ وَمِنْهُ ، وَأَنَّ الْأَدْوِيَةَ الْمُسْتَعْمَلَةَ لَا تُوجِبُ شِفَاءً ؛ وَإِنَّمَا هِيَ أَسْبَابٌ وَسَائِطٌ يَخْلُقُ اللَّهُ عِنْدَهَا فِعْلَهُ وَهِيَ الصُّحَّةُ الَّتِي لَا يَخْلُقُهَا أَحَدٌ سِوَاهُ فَكَيْفَ يَنْسِبُهَا عَاقِلٌ إِلَى جَمَادٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ أَوْ سِوَاهَا ؟ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَخَلَقَ الشِّفَاءَ بِدُونِ سَبَبٍ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ الدُّنْيَا دَارَ أَسْبَابٍ جَرَتْ السُّنَّةُ فِيهَا بِمُقْتَضَى الْحِكْمَةِ عَلَى تَعَلُّقِ الْأَحْكَامِ بِالْأَسْبَابِ .

وَالِإِى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَوْضَحَهُ بِقَوْلِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ « بِسْمِ اللَّهِ أَرْزُقِكَ وَاللَّهُ يَشْفِيكَ » فَبَيَّنَ أَنَّ الرُّقِيَّةَ مِنْهُ ، وَهِيَ سَبَبٌ لِفِعْلِ اللَّهِ وَهُوَ الشِّفَاءُ ، وَالشِّفَاءُ مِنَ اللَّهِ لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُهُ ، وَلَا شَافِيَ غَيْرُهُ .

فَأَبْشِرْ يَا حَبِيبُ .. « فَالله هُوَ الطَّبِيبُ » ..

فضل المرض

على قدر دينك؛

قَالُوا : مَنْ لَاحَ لَهُ فَجَزُ الْأَجْرِ ،
هَانَ عَلَيْهِ ظَلَامُ التَّكْلِيفِ ..

تعال أخى الحبيب لتهون عندك المصيبة وتستبشر
عند وجود البلاء - عافانا الله وإياك - ؛ لنرى بريق الوعد
من أجل الصبر على البلاء ، وأيضاً ليكون لك في
صالحى عباد الله أسوة .

① قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « مَا رَأَيْتُ أَشَدَّ وَجَعًا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » (صحيح ، مسند أبي يعلى : ٤٥٣٦) .

② عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : كان عِزُّ الْكُلَيْبَةِ - وهي
الخاصرة - تأخذ رسول الله ﷺ شهراً ، ما يستطيع أن

يخرج إلى الناس ، ولقد رأيتُه يُكْرَبُ حتى آخَذَ بيده فأتفلَ فيها بالقرآن ، ثم أَكْبَهَا على وجهه ألتمسُ بذلك بركةَ القرآن وبركةَ يده ، فأقول : يا رسول الله ، إنك مُجَابُ الدَّغْوَةِ ، فادعُ الله يفرِّجْ عنك ما أنت فيه ؛ فيقول : « يَا عَائِشَةُ ، أَنَا أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً » (صحيح ، مسند أبي يعلى : ٤٧٦٩) .

والله إنَّ القلبَ ليتمزقُ ألماً وهو يتصور الحبيب رسول الله ﷺ وهو أكرم الخلق على الله يتلوى ألماً شهراً لا ينام من شدة الوجع !

وهنا : ألا يهون أملك عند تصور ألم رسول الله ﷺ ؟
وهلّا تصبرت برسول الله ﷺ ؟

③ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ ، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَوَجَدْتُ حَرَّهُ بَيْنَ يَدَيَّ فَوْقَ اللَّحَافِ ؛ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَشَدُّهَا عَلَيْكَ ! قَالَ : « إِنَّا كَذَلِكَ يُضْعَفُ لَنَا الْبَلَاءُ وَيُضْعَفُ لَنَا الْأَجْرُ » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ

أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ : «الْأَنْبِيَاءُ» قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : «ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَبْتَلَى بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعِبَاءَةَ يُحَوِّيهَا ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرِّخَاءِ» .

(ابن ماجه : ٤٠٢٤ ، صحيح ابن ماجه : ٣٢٥٠) .

ومن هنا تلمح أخى الحبيب :

كلما شُدَّ عليك البلاء تضاعف الأجر .

و حين ترى الصالحين في فقرهم لا يجدون ، تَحْمَدُ الله على كثير ما عندك . . ثم فرحهم بالبلاء شيء آخر .

ألا تفرح لتكون منهم؟!

④ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَغَكَا شَدِيدًا فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَغَكَا شَدِيدًا ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَجَلْ ، إِنِّي أُوَعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ» فَقُلْتُ : ذَلِكَ أَنْ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟ فَقَالَ ﷺ : «أَجَلْ» ،

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَدْنَى ، مَرَضٍ
فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقُهَا »
(البخاري : ٥٣٣٦ ، مسلم : ٢٥٧١) .

أواه .. ما أكثر ذنوبك !! ما أكبر خطاياك !!

فمن رحمة الله بك كي لا تلقاه بذنوبك ومعاصيك
كلما شاكتك شوكة ، أو ذقت ألمًا ؛ تحانت خطاياك ؛
فأبشر ولا تتألم ، وإنَّ نظرك ورؤيتك لذنوبك وهي
تساقط عنك إن رأيتَه فسيشغلك عن معاناة وجعك .

⑤ عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟ قَالَ :
« الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ، فَيُتْلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ
دِينِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ
رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى
يَبْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ . »

(الترمذي : ٢٣٩٨ ، صحيح الترغيب والترهيب : ٣٤٠٢) .

فيا طوبى لمن حصل له ذلك !! يمشي على الأرض
صالحًا طاهرًا ليست عليه خطيئة ، ثم بُشِّرَأك بقوة
الإيمان وعلو المنزلة على قدر شدة البلاء .

⑥ قال الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كان الرجل منهم أو من
المسلمين إذا مر به عام لم يُصَبْ في نفسه ولا ماله قال :
« ما لنا أتودّع الله مِنّا » .

يعني : لكان الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد علم أو اعتقد أن
الابتلاء محبة من الله لعبده ، فحين يتأخر الابتلاء عنه
فترة يظن أنه معاقب برفع البلاء عنه ، ويُبْعِدُ الله منه .

سبحان الله ! هَلَّا فَهِمْتَ عَنْ الله !

⑦ عن قيس بن أبي حازم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : طَلَّقَ خالد
ابن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ امرأته ثم أحسن عليها الشئ ، ف قيل له :
يا أبا سليمان ، لأي شيء طلقته ؟ قال : ما طلقته لأمرٍ
رابني منها ولا ساءني ؛ ولكن لم يُصِبْهَا عندي بلاء .

هَكَذَا كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ عَدَمَ الْإِبْتِلَاءِ غَضَبٌ .. وَالْآنَ :

أَلَيْسَ إِبْتِلَاؤُكَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً ؟ ! أَلَيْسَ حُبَّةً وَقُزْبًا ؟ !
لَا يَغُرُّكَ الَّذِينَ يَفْخَرُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يُصَابُوا بِشَيْءٍ قَطُّ ،

فَلَيْسَ ذَلِكَ أَبَدًا عَلَامَةً حُبَّةٍ ..

⑧ عن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : إِنَّمَا خَلَقَ اللَّهُ
الْبَلَاءَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَرَزَقَهُمُ الصَّبْرَ ، كَانَ أَحَدُهُمْ يَأْخُذُ الثَّوْبَ
مِنَ الصُّوفِ فَيَتَدَرَّعُهُ ، وَكَانَ الْقَمْلُ يَسْقُطُ مِنْهُ ، فَإِذَا
جَاءَهُمْ مِنَ الرِّخَاءِ دَعَوْا ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَخِطَ
عَلَيْهِمْ أَوْ أَحْدَثُوا شَيْئًا .

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ يَرْزُقُهُمُ الصَّبْرَ مَعَ الْبَلَاءِ ،
وَهَذَا مِنَ اللَّطْفِ الْخَفِيِّ ، وَلِتَصْبِرَ أَكْثَرُ أَعْلَمَ أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ
سَمَةٌ مِنَ سَمَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ الرِّخَاءَ
وَيَفْرَحُونَ بِالْبَلَاءِ .

أَلَيْسَ لَكَ فِيهِمْ أُسْوَةٌ !

المرض كفارة للذنوب،

ما مِنْ أَمْرٍ يَحْدُثُ لِلْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ خَيْرًا ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » (مسلم : ٢٩٩٩) .

ومن عظيم فضل الله ورحمته أن جعل لعباده أمورًا تُكَفِّرُ بها سيئاتهم ؛ ليفعلوها أو ليحتسبوا إن أصيبوا بها ، ومنها الابتلاء والمرض ؛ فاصبر واحتسب ، ثم افرح بفضل الله ، واشكر نعمة الله .

① قال النبي ﷺ : «لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يُخْتَمُ عَلَيْهِ ؛ فَإِذَا مَرِضَ الْمُؤْمِنُ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : يَا رَبَّنَا ، عَبْدُكَ فَلَانُ قَدْ حَبَسَتْهُ ، فَيَقُولُ الرَّبُّ : «اُخْتِمُوا لَهُ عَلَى مِثْلِ عَمَلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ أَوْ يَمُوتَ» (صحيح الجامع : ٥٤٣٢) .
فإياك إياك أن يُخْتَمَ لك على سَخَطٍ أو شَكْوَى ،

أو عدم رضا عن الله ، أو يُخْتَمَ لك على معصية كمرابطتك أمام التلفاز بحجة قتل الوقت ! احرص على ألا تعصي الله في مرضك ؛ فإنك إنما تختار خاتمتك .

② عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنْ وَعَكٍ كَانَ بِهِ ، فَقَالَ : « أَبَشِّرْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : هِيَ نَارِي أُسْلِطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُذْنِبِ ؛ لِتَكُونَ حَظُّهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ » (صحيح ابن ماجه : ٢٧٩٤) .

مَا أَخْوَجَ الْعَبْدَ إِلَى أَنْ يُغْتَقَ مِنَ النَّارِ !

الله الكريم أعطاك ما يرحمك به من نار الآخرة ، بعض الحمى أو السخونة ، شيء من ارتفاع الحرارة يكون سبباً في نجاتك من النار ، الله أكبر ! هيا أبشر !

③ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يُضْرَعُ صِرْعَةً مِنْ مَرَضٍ ؛ إِلَّا بَعَثَهُ اللَّهُ مِنْهَا طَاهِرًا » (صحيح الجامع : ٥٧٤٣) .

حين تُشْفَى بإذن الله تعالى فكأنك نزلت نهراً
واغتسلت فخرجت منه طاهراً بلا ذنب ولا خطيئة ، ولم
يُفَرِّقِ النَّبِيُّ ﷺ بين مرض شديد أو بسيط ، فاحتسب
كل لحظة تمر عليك وأنت مريض ؛ لعلها تكون طريقك
إلى الطهارة ، أسأل الله أن يُعَجِّلَ بشفائك .

④ قال رسول الله ﷺ : «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ حِينَ يُصِيبُهُ
الْحُمَّى أَوْ الْوَعْكُ مَثَلُ حَدِيدَةٍ تَدْخُلُ النَّارَ فَيَذْهَبُ خَبْثُهَا
وَيَبْقَى طَيِّبُهَا» (المستدرک : ٢٤٦ ، صحيح الجامع : ٢٣٧٠) .

حين تشعر ببعض السخونة أو الألم ؛ تخيل نفسك
قطعة من الحديد أدخلت النار حتى انصهرت ، فذاب ما فيها
من خبث ، وبقي خيرها ، فإن مرضك كذلك يصهر الخبث
منك ويترك أطهر ما فيك ؛ فاحتمل الحرارة والألم ،
واصبر ولا تَضْجَرْ ؛ فإن مآلك إلى خير إن شاء الله .

⑤ عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ : «مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ فِي جَسَدِهِ يُؤْذِيهِ

إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ» (صحيح الجامع : ٥٧٢٤) .

⑥ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمُّ يُهْمُّهُ إِلَّا كُفِرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ » (مسلم : ٢٥٧٣) .

⑦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » (مسلم : ٢٥٧٢) .

يا لها من بشریات كثيرة عظيمة ! فأی شيء یصیبك فی بدنك ویؤذیک فهو كفارة لك ، حتی الشوكة ! حتی الهم ! حتی الحزن ! أي شيء !!

انظر إلى آثار رحمة الله !!

⑧ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ » .

(الأدب المفرد : ٤٩٤ ، صحيح الجامع : ٥٨١٥) .

هل تحب أن تلقى الله يوم القيامة وما عليك خطيئة كأنك طفل لم يكلف ولم يحاسب؟ كلما اشتد عليك المرض تخففت من خطاياك حتى يُقضى عليها كلها فتلقى الله بلا ذنب واحد! فاصبر وصابر واصطبر .

⑨ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إذا مرض العبد المسلم يقال لصاحب اليمين : « اكتب على عبدي صالح ما كان يعمل » ، ويقال لصاحب الشمال : « اقض عن عبدي ما كان في وثاقي » ، فقال رجل عند أبي هريرة رضي الله عنه : يا ليتني لا أزال ضاجعاً ، فقال أبو هريرة : « كره العبدُ الخطايا » .
 ما أسعدك ! ما أفرحك بكرم المئان عليك ! تمرض فيكتب لك ما كنت تعمله في صحتك ، وترفع عنك ذنوبك وخطاياك التي قيدتك . . . ولا أقول : تمن المرض ؛ ولكن ألا ترى كل ما بشرك به النبي ﷺ ؟ أليس في ذلك ما يدعوك إلى الشكر والرضا والصبر !

⑪ عن هلال بن يساف رضي الله عنه قال : كنا قعوداً عند عمار بن ياسر رضي الله عنه فذكروا الأوجاع ، فقال أعرابي : ما

اشتكت قط ، فقال عمار : « ما أنت منا - أو لست منا - إن المسلم ليتلى ببلاء فَتُحَطُّ عنه ذنوبه كما يُحَطُّ الورق من الشجر ، وإن الكافر - أو قال : الفاجر - يتلى ببلاء فمثله مثل بعير أُطلق فلم يدر لِمَ أُطلق ، وعُقل فلم يدر لِمَ عُقل » . فابتلاؤك علامة على إيمانك . . . تبلى فتسقط عنك ذنوبك كما تسقط أوراق الشجر ، بكثرة وتباعاً ، أما إذا لم تُبَلَّ ؛ فالله أعلم بحالك عنده !

ثم هنا قضية الفهم عن الله عند الابتلاء والاحتساب مع الصبر ؛ فيعرف المؤمن لماذا مرض ؟ وإذا عوفي وشفي يعلم من أين أتى ، أما الفاجر فلا يدرى لماذا قيد وربط ومنع ، وأيضا لماذا أُطلق وترك وعوفي .

(١٢) قال أبو مَعْمَرٍ الْأَزْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : كنا إذا سمعنا من ابن مسعود رضي الله عنه شيئا نكرهه سكتنا حتى يفسره لنا ، فقال لنا ذات يوم : « ألا إن السُّقَمَ لا يُكتب له أجر » فساءنا ذلك وكَبُرَ علينا ، قال : « ولكن يُكْفَرُ به الخطايا » ، قال : فَسَرْنَا ذلك وأعجبنا .

١٣ عن يزيد بن ميسرة رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : « إِنْ الْعَبْدُ لِيَمْرُضَ الْمَرَضَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَيْرٍ ، فَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ بَعْضَ مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ ؛ فَيُخْرِجُ مِنْ عَيْنِهِ مِثْلَ رَأْسِ الذِّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ؛ فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ إِنْ بَعَثَهُ اللَّهُ أَوْ يَقْبِضُهُ إِنْ قَبِضَهُ عَلَى ذَلِكَ » .

إِنَّ عِلْمَكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ ابْتَلَاكَ لِيُطَهِّرَكَ مِنْ خَطَايَاكَ الَّتِي كَرِهَهَا مِنْكَ يَجْعَلُكَ تَخْشَعُ وَتَرْقُ وَيَلِينُ قَلْبَكَ ، فَتَبْكِي مِنْ خَشْيَةِ رَبِّكَ ، وَدَمْعَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ تِلْكَ الْخَشْيَةِ تَكُونُ سَبِيلاً فِي شِفَائِكَ ، وَإِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْمَرَضِ أَجْلُكَ قَبِضَكَ اللَّهُ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ : الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَتِهِ .

١٤ عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : « الْحُمَّى حَظٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] ، وَالْوُرُودُ فِي الدُّنْيَا هُوَ الْوُرُودُ فِي الْآخِرَةِ » .

إِذَا وَرَدَّتْ نَارَ الدُّنْيَا لَمْ تَرُدْ نَارَ الْآخِرَةِ ..

إِنَّهُ فَضْلُ أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ ..

(١٥) عن الحسن رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لِيَكْفُرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ خَطَايَاهُ كُلَّهَا بِحُمَيِّ لَيْلَةٍ » .

سبحان الملك ! حُمَيِّ لَيْلَةٍ ! .. سبحان الملك ! فلتكن ..
وما لَيْلَةٍ ؟ ! وما حُمَيِّ لَيْلَةٍ ؟ ! فلتكن ، ثم الطهارة والعافية .

(١٦) قَالَ ثَابِتٌ رَحِمَهُ اللهُ : انطلقنا مع الحسن إلى صفوان بن مُحَرِّزٍ نَعُودُهُ ، فخرج إلينا ابنه فقال : هو مبطون لا يستطيعون أن تدخلوا عليه ، فقال الحسن : أَنْ يُؤْخَذَ الْيَوْمَ مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ فَيُؤْجَرُ فِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَهُ التُّرَابُ .

(١٧) قَالَ حَبِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْهَرَانِي رَحِمَهُ اللهُ : عَادَنِي الْحَسَنُ فِي مَرَضٍ فَقَالَ لِي : « يَا حَبِيبُ ، إِنْ لَمْ تُؤْجَرْ إِلَّا فِيمَا نَحَبُ قَلٍّ أَجْرُنَا ، وَإِنْ اللَّهُ كَرِيمٌ : يَبْتَلِي الْعَبْدَ وَهُوَ كَارِهِ ، وَيُعْطِيهِ عَلَيْهِ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ » .

هذه الدنيا دار ابتلاء وتمحيص ، ومهما يكن من البلاء على غير هواك فهو أعظم أجراً مما يوافق طبعك ؛ فإن الجزاء على ما تكره بلا شك أعظم إن صبرت واحتسبت ،

أما ما تحب وما وافق هواك ؛ فعلام تؤجر إلا الشكر الذي تنساه أو تقصّر فيه بسبب تمتعك بالنعمة !!

١٨) وكان أبو مجلز رَحِمَهُ اللهُ يقول : « إن الله يبتلي العبد بالبلاء حتى ما يبقى عليه ذنب » .

١٩) وقال زياد بن الربيع : « قلت لأبي بن كعب : آية في كتاب الله قد أحزنتني ، قال : ما هي ؟ قلت : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء : ١٢٣] ، قال : ما كنت أراك إلا أفقه ممّا أرى ؛ إن المؤمن لا تصيبه عشرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر » .

٢٠) وعن قيس بن عباد رَحِمَهُ اللهُ قال : « ساعات الوجع يذهبن بساعات الخطايا » .

انظر وتأمل . . كلما زادت أيام مرضك وطالت فاعلم أنها بسبب طول أيام معاصيك ، وتفكر أن كل ساعة تمر بك في مرضك تمحو ساعة مرت بك وأنت تعصي ربك ، فيهون عليك كل ألم وكل طول بلاء .

(٢١) عن مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ كَعْبًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « أَجْدُ فِي التَّوْرَةِ : لَوْلَا أَنْ يَحْزَنَ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ لَعَصِبَ الْكَافِرَ بِعَصَابَةٍ مِنْ حَدِيدٍ لَا يَضْدَعُ أَبَدًا » .

(٢٢) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « يُكْفِرُ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِ حَتَّى النُّكْبَةِ وَانْقِطَاعِ شِسْعِهِ ، وَالبُضَاعَةِ يَضَعُهَا فِي كَمِّ قَمِيصِهِ فَيَفْقِدُهَا فَيَجِدُهَا فِي ضُبْنِهِ » أَيُّ تَحْتَ إِبْطِهِ .
سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْكَرِيمِ ! حَتَّى مَجْرَدِ الْفَرْعِ عَلَى فَقْدَانِ شَيْءٍ مِنْ مَتَاعِكَ تَوَجَّرَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَجَدَّ مَتَاعُكَ !

(٢٣) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَفْلَحَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ مَنْزِلُهُ بِذِي الْحُلَيْفَةِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ جَاءَ فَدَخَلَ عَلَى عَجُوزٍ بِالْمَدِينَةِ يَغْتَسِلُ عِنْدَهَا وَيَتَهَيَّأُ لِلْجُمُعَةِ ، وَكَانَ يَقُولُ : « كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أُمَّ فُلَانٍ ؟ فَتَقُولُ : أَجِدُنِي وَاللَّهِ وَجِيعَةً ، فَقَالَ لَهَا : أَفَلَا أَخْبَرْتُكَ بِمَثَلِ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : وَمَا مَثَلُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَلَا تَرِينَ أَنَّ الرَّبِيعَ إِذَا جَاءَ كَيْفَ يَنْضُرُ لَهُ الشَّجَرُ وَيَخْضَرُ ، فَإِذَا جَاءَ الصَّيْفُ فَهَبَتِ الرِّيحُ كَيْفَ يَبْسُ وَيَتَجَافُ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ :

فذلك الوجع مُحْتُّ الخطايا .

(٢٤) قال أبو هريرة رضي الله عنه : « ما مرض أحب إلي من هذه الحمى ؛ إنها تدخل في كل مفصل ، وإن الله يعطي كل مفصل قسطه من الأجر . »

وَيَا لَهُ مِنْ تَطْهِيرٍ حَتَّى الْمَفَاصِلِ !!

(٢٥) عن الحسن رضي الله عنه أن عمران بن حصين رضي الله عنه ابتلي في جسده فقال : « ما أراه إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ، وتلا : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] . »

وهكذا يعود العبد باللائمة على نفسه ، ويتزهد به عن الظلم ؛ فيعود حسن الظن بربه ، راضياً بقضائه وقدره ، مُثْنِياً عليه سبحانه بما هو أهله .

المرض تمحيص :

إن الله ليس دوماً يبتلي ليعذب ؛ إنما قد يبتلي ليمحص ويطهر ، إن الله عز وجل يبتلي عباده ليميز الله

الخيث من الطيب ، ليميز المتسخط من الراضي ، ليميز الشاكر من المتضجر .

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَعَلَيْهِ السَّخَطُ » (حسن ، صحيح الجامع : ٢١١٠) .

وانظر أخي إلى قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : « يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِضِ » .

(الترمذي : ٢٤٠٢ ، حسن ، الصحيحة : ٢٢٠٦) .

يا لك من رجل إن كنت من المغبوطين يوم القيامة على ابتلائك هذا ، بما يعطيك الله من الأجر ، وبما يميزك به من صبرك وتحملك ورضائك . .

وزيادة في طلب رضاك إليك خيانت هذا المريض في التمحيص :

① قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] .

يا له من مدح أن يقول الملك الجليل الله العلي
الكبير عن عبدٍ من عبيده : ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ﴾ ! الله أكبر ! وما
أفضله من عبد !

لَمَّا قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ وَذَمِّي شَيْنٌ ،
قَالَ ﷺ : « ذَاكَ هُوَ اللَّهُ ﷻ » (صحيح الترمذي : ٢٦٠٥) .

فأيُّ زَيْنٍ بعد مدح الله ﷻ لعبد ؟

ولكن كيف حصل أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على هذه الرتبة ؟

لا يوجد بشر ابتلي في بدنه وأهله وماله كما ابتلي
سيدنا أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وخرج من الابتلاء كما أراد الله
منه وله : صابراً أو ابناً .

وفي النهاية بعد رحلة طويلة استمرت لسنوات عديدة
مع المرض ، قال رسول الله ﷺ : « مَكَثَ أَيُّوبُ فِي
بَلَائِهِ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً » (صحيح ، ابن حبان : ٢٨٩٨) ، ثم
يقول في أدبٍ واستحياء : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّحِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

وانظر إلى أدب الأنبياء في قوله : ﴿مَسْنِي﴾ ، ولم يقل : أتعبني أو أرهقني ، فلم يُظهر التضجر ، هكذا كما علمه ربه ﷻ حين قال سبحانه : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] ، فهو شيء ونقص ؛ فمن الأدب تهوين البلاء وعدم تهويله أو التشنيع به .

ثم قال في أدب علي أدب : ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ؛ حتى إنه لم يقل : اشفني ؛ ليظهر في موقف الراضي بربه المحب لقضائه وقدره ؛ وهنا يأتي الجواب بأقصى سرعة من الله ﷻ السميع البصير العليم القدير اللطيف الخبير الرفيق أرحم الراحمين قائلاً سبحانه : ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ فَاكْشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] .

والتساؤل الآن : كيف ستخرج أنت من الابتلاء؟؟؟

أيقال عنك : ﴿يَعْمَ الْعَبْدُ﴾ ؟

هل يقول ربك عنك : ﴿إِنَّا وَجَدْتُهُ ضَالًّا﴾ ؟

(٢) قال النبي ﷺ : « إِذَا ابْتَلَى اللَّهُ الْعَبْدَ بِالسُّقْمِ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَينِ قَالَ : اسْمَعَا مَا يَقُولُ عَبْدِي هَذَا لِعَوَادِهِ ؛ فَإِنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا بَلَّغَا ذَلِكَ عَنْهُ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : إِنْ لِعَبْدِي هَذَا عَلَيَّ إِنْ أَنَا تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ وَأَغْفِرَ لَهُ » .
(حسن ، صحيح الترغيب والترهيب : ٣٤٣١) .

انظر - أخي الحبيب - أنت مُرَاقِب ، الله يرسل لك ملكين خصيصًا ؛ لِيُبَلِّغَا عَنْكَ مَا تَقُولُ لِرَاضِيكَ ، والله سَمِيعٌ قَرِيبٌ ، يَسْمَعُكَ وَيُرَاكَ ، ولكن كأن قد جعل الله هذين شاهدين عليك ، فماذا أنت قائل ؟ هل ستشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟ هل ستشكو العليم بك سبحانه الناصح لك الأرحم بك من أمك إلى الشامتين والمنافقين المجاملين بغير حق ؟ أم ستبث حبك وصبرك ورضاكَ ، وتستتر عيبك وعقوبتك ، ويا لها من بشرى على وعدٍ إن أثبتت على ربك فالشفاء العاجل أو الجنة .

ثم ليتأكد عندك هذا مرة أخرى ؛ فاسمع إلى الحديث التالي :

③ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ وَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عَوَادِهِ ؛ أَطْلَقْتُهُ مِنْ أَسَارِي ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ » (صحيح الجامع : ٤٣٠١) .

إني أحذرك : إياك من الشكوى ، وانظر إلى ما تقول إلى زوّارك ، وليس التشكي فقط بقولك : أنا غير راض ، أو قد مللت ، أو متى أشفى ؛ ولكن قد تكون الشكوى بكثرة توصيفك للمرض ، أو بكثرة الأنين ، أو التأفف ، أو البكاء ، احذر أخي فإن خلاصك فيما تقول لعوّادك .
وينبغي أيضا أن تكون حريصا على كلمات الشكر لله ؛ فكلمة تخرج من فمك قد تكون سببا في دخولك الجنة ، أو رفع درجاتك ، أو أن يبدلك الله بجسد خير من جسّدك ، أو أدنى ما في الأمر أن تُشفى برضاك عن ربك .

④ قال الحسن رحمه الله : « إن العبد ليُبتلى في ماله فيصبر ولا يبلغ بذلك الدرجات العلى ، ويُبتلى في ولده

فيصبر ولا يبلغ بذلك الدرجات العلى ، ويُبتلى في بدنه
فيصبر فيبلغ بذلك الدرجات العلى ، قال : وكان عطاء
قد أصابته مرضات .

فالصبر على المال والولد أسهل من الصبر على آلام
الجسد ؛ لذلك كان الصبر والاحتساب على الألم
الجسدي والرقدة في الأسيرة أصعب وأجرها أعظم . .
فالابتلاء في الجسد بمرض أو أذى من أعظم أسباب
تمحيص العبد ورفع درجاته ؛ فاصبر واحتسب .

⑤ عن وهب بن منبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « لا يكون
الرجل فقيهاً كامل الفقه حتى يَعُدَّ البلاء نعمة ، وَيَعُدَّ
الرخاء مصيبة ؛ وذلك أن صاحب البلاء ينتظر الرخاء ،
وصاحب الرخاء ينتظر البلاء » .

⑥ عن كُزْدُوسِ الشَّعْلَبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : وجدت في
الإنجيل إذ كنت أقرأه : « إن الله ليصيب العبد بالأمْرِ
يكرهه وإنه لِيُحِبُّهُ ؛ لينظر كيف تَضَرُّعُهُ إِلَيْهِ » .

فالله قد يتليك لسمع صوتك ؛ تقول : ﴿أَنِّي مَسْنِي
الضُرُّ وَأَنْتَ أَزْحَمُ الرَّحِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، لسمع
صوتك تنادي في الأسحار ، تنادي : رباه ، اشفني . .
لا أن يكون تضرعك ونجواك وتعلقك كله بالمعالجين
وبالأسباب المادية ، قال ﷺ : ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا
تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام : ٤٣] .

هيا . . ليرتفع صوتك بالمناجاة والدعاء والحب
والتعلق والثناء ؛ فهذا أنفع الأدوية وأنجعها وأقربها إلى
القبول والشفاء .

⑦ عن أبي المليح رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : دخل صالح بن
مسمار على مريض يعودُه وأنا معه ، فلما قام من عنده
قال : « إِنَّ رَبَّكَ قَدْ عَاتَبَكَ فَأَعْتِبْهُ » .

لكأنني به يقصد أن الله ﷻ يعاتبه على تقصير بذر
منه ، أو ذنب زل فيه ، أو معصية لا تفارقه ؛ فابتلاه
بمرضه هذا ليرجع إلى ربه ، يعتذر إليه ويسترضيه .

٨ عن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « يُوْتَى بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ بِالْغَنِيِّ وَبِالْمَرِيضِ وَالْعَبْدِ ، فَيَقُولُ لِلْغَنِيِّ : مَا مَنَعَكَ عَنْ عِبَادَتِي ؟ فَيَقُولُ : أَكْثَرْتُ لِي مِنَ الْمَالِ فَطَغَيْتُ ، فَيُوْتَى بِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَلِكِهِ فَيَقَالُ لَهُ . أَنْتَ كُنْتَ أَشَدَّ شُغْلًا أَمْ هَذَا ؟ قَالَ : بَلْ هَذَا ، قَالَ : فَإِنْ هَذَا لَمْ يَمْنَعَهُ شُغْلُهُ عَنْ عِبَادَتِي ، قَالَ : فَيُوْتَى بِالْمَرِيضِ فَيَقُولُ : مَا مَنَعَكَ عَنْ عِبَادَتِي ؟ قَالَ : يَا رَبِّ أَشْغَلْتُ عَلَى جَسَدِي ، قَالَ : فَيُوْتَى بِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ضُرِّهِ فَيَقُولُ لَهُ : أَنْتَ كُنْتَ أَشَدَّ ضُرًّا أَمْ هَذَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : لَا بَلْ هَذَا ، قَالَ : لَمْ يَمْنَعَهُ ذَلِكَ أَنْ عَبْدَنِي ، قَالَ : ثُمَّ يُوْتَى بِالْمَمْلُوكِ فَيَقَالُ لَهُ : مَا مَنَعَكَ عَنْ عِبَادَتِي ؟ فَيَقُولُ : جَعَلْتَ عَلَيَّ أَرْبَابًا يَمْلِكُونَنِي ، قَالَ : فَيُوْتَى بِيُوسُفَ الصَّدِيقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عِبُودِيَّتِهِ فَيَقَالُ : أَنْتَ أَشَدَّ عِبُودِيَّةً أَمْ هَذَا ؟ قَالَ : لَا بَلْ هَذَا ، قَالَ : فَإِنْ هَذَا لَمْ يَشْغَلْهُ شَيْءٌ عَنْ عِبَادَتِي . »

ليست لك حجة ! لا تشغل بمرضك عن طاعة ربك ، وافهم المغزى من الابتلاء .

⑨ عن زيد بن أسلم رَحِمَهُ اللهُ قال : دَخَلَ عَلَى أَبِي دُجَانَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ مَرِيضٌ ، وَكَانَ وَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ ، فَقِيلَ : مَا لَوْجْهَكَ يَتَهَلَّلُ ؟ فَقَالَ : مَا مِنْ عَمَلِي شَيْءٍ أَوْثَقَ عِنْدِي مِنْ اثْنَتَيْنِ : أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَكَنتُ لَا أَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِينِي ، وَأَمَّا الْآخَرَى : فَكَانَ قَلْبِي لِلْمُسْلِمِينَ سَلِيمًا .

فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِكَ حَالِ مَرْضُكَ - أَخِي الْحَبِيبِ - وَتَأْمَلْ مَا فِيهِ مِنْ أَمْرَاضٍ ، هَلْ فِيهِ حَقْدٌ . . حَسَدٌ . . ضَغِينَةٌ . . كَرَهُ ؟ ! وَتَخْلُصْ مِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ قَدْرَ اسْتَطَاعَتِكَ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ مَرْضُكَ مُعَافًى الْقَلْبَ وَالْبَدْنَ .

يُكْتُبُ لَكَ مَا كُنْتَ تَعْمَلُ صَحِيحًا.

وهذا من أعظم وأفضل ما في الابتلاء والمرض ؛ أن تكون على طاعة ، فيمنعك مرضك من أدائها ، فتكتب لك وكأنك تعملها ؛ ولكن لا يمنعك هذا من أداء الطاعات إن كنت قادرًا عليها ، فهذا خيرٌ لك وأفضل ، وأسرع بك إلى الشفاء .

① قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا » (البخاري : ٢٨٣٤) .

② عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاْدِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ » . (مسلم : ١٩١١) .

③ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُبْتَلى بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ إِلَّا أَمَرَ اللَّهُ بِرَجُلٍ الْحَفَظَةَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ : اكْتُبُوا لِعَبْدِي فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَحِيحٌ مَا دَامَ مَحْبُوسًا فِي وَثَاقِي » . (أحمد : ١٥٩ / ٢ ، صحيح الجامع : ٥٧٦١) .

④ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا اشْتَكَى الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ قَبْلَ لِلْكَاتِبِ الَّذِي يَكْتُبُ عَمَلَهُ : اكْتُبْ لَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ إِذَا كَانَ طَلِيقًا حَتَّى أَقْبِضَهُ أَوْ أُطْلِقَهُ » (صحيح الجامع : ٨٠٠) .

⑤ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَرِضَ

أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَلَائِكَتِهِ : أَنَا قَيِّدْتُ عَبْدِي بِقَيْدٍ مِنْ قُبُودِي
فَإِنْ أَقْبَضَهُ أَغْفِرْ لَهُ وَإِنْ أَعَافِهِ فَحَيِّتْهُ يَقْعُدُ لَا ذَنْبَ لَهُ .
(صحيح الجامع : ١٦٧٣) .

⑥ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : إِذَا مَرَضَ
الْمُؤْمِنُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : « اكْتُبُوا لِعَبْدِي هَذَا
الَّذِي فِي وَثَاقِي مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صَحَّتِهِ » ، قَالَ :
فَدَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ،
فَقَالَ : يَقُولُ اللهُ : « اكْتُبُوا لِعَبْدِي هَذَا الَّذِي حَبَسْتُهُ
كَأَحْسَنِ مَا كَانَ يَعْمَلُ وَهُوَ صَاحِبٌ » .

⑦ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : إِذَا مَرَضَ
الْمُسْلِمُ مَرَضًا قَضَى فِيهِ ، قَالَ اللهُ لِلْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَكْتُبَانِ
عَمَلَهُ : « اكْتُبَا لَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ إِذَا كَانَ طَلِيقًا حَتَّى أَعَافِيَهُ
أَوْ أَكْفِيْتَهُ إِلَيَّ » .

⑧ وَعَنْ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « لَوْ لَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ
لَسَرْنِي أَنْ أَكُونَ صَاحِبَ فِرَاشٍ ؛ وَذَاكَ أَنْ الْمَرِيضَ يَرْفَعُ
عَنْهُ الْحَرَجَ ، وَيَكْتُبُ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ وَهُوَ صَاحِبٌ » ،

ويكفر عنه سيئاته .

⑨ قال رجل لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : إنه بلغني أنك تقولين : إذا مرض المسلم كُتِبَ له عمله الذي كان يعمل من آخر مرضه ، فقالت : « ليس هكذا قلت ؛ إنما قلت : يكتب له أحسن عمله مع آخر مرضه » .

نصيحة من محب : احرص على الطاعات ولا تفرط فيها ، داوم عليها ولا تتهاون بها حال صحتك وعافيتك ؛ فإنها إحدى الخيرات : إما أن تموت ويُختم لك بعملٍ صالح ، وإما أن يكتب لك ما كنت تعمل إذا مرضت ، وإما أن يعافيك الله فتزيد قرباً منه بكثرة طاعاتك ، وفي كل الأحوال أنت الرابع .

خير لك ولغيرك :

① عَنْ ثَوْبَرٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَخَذَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيَدِي قَالَ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُوذُهُ ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَعَانِدَا جِئْتُ يَا أَبَا مُوسَى أُمِّ

زَائِرًا؟ فَقَالَ : لَا بَلْ عَائِدًا ، فَقَالَ عَلِيُّ رضي الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُضْهِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ » (صحيح الجامع : ٥٧٦٧) .

هكذا عاد مرضك على غيرك بالحسنات والبركات أيضا ، وبالدعوات الصالحات من الملائكة المقربين ، سبحان الله ! مرضك خير لك ولمن يعودك .

② قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟ يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ ، وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ يَا ابْنَ آدَمَ ،

اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَالَ : يَا رَبُّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانَ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ » (مسلم : ٢٥٦٩) .

وهذه أعظم بشرى وأجمل هدية للمريض : أن يكون الله عنده ؛ فَمَنْ تُرِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ ! ..

سُبْحَانَهُ جَلَّ جَلَالُهُ ..

مَنْ وَجَدَهُ وَجَدَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَمَنْ فَقَدَهُ فَقَدَ كُلَّ شَيْءٍ ..

المرض رفع درجات :

① قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنَزَلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ، ثُمَّ صَبَرَهُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُبْلِغَهُ الْمَنَزَلَةُ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى » (صحيح أبي داود : ٢٦٤٩) .

سبحان الله العظيم ! لو يعلم المريض ما يدخره الله له ، وما يحمله هذا البلاء من خير في طيَّاته ؛ لما انزعج وضجر ؛ بل صبر واحتسب ؛ فاعلم أن الله يَرْزُقُكَ وضعك عنده في

منزلة ، مهما عملت من الطاعات لن تبلغها ، فيبتليك بالمرض أو بفقد المال أو الولد ، ويزيدك من فضله فيُصَبِّرْكَ ، ويُغْرِقْكَ في بحر كرمه فيبلغك المنزلة التي وضعك فيها من قبل .

الحمد لله أن لك رباً كريماً .. حليماً حليماً .. بَرّاً رحيماً ..

(٢) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُصَابُ بِشَيْءٍ فِي جَسَدِهِ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهِ خَطِيئَةٌ » (أحمد : ٤٤٨ / ٦ ، وصححه شعيب الأرنؤوط) .
يعني : إذا جنى إنسان على آخر ؛ فقلع سنّه أو قطع يده مثلاً ، فعفا المستحق عن الجاني لوجه الله ؛ رفعه الله درجة وحط عنه خطيئة .

وما أحوَجْكَ إلى أن تُرْفَعَ درجة ! وأنت في أمس الحاجة إلى أن تمحى خطيئة واحدة من خطاياك التي لا تُحصى ؛ فهذه فرصة سانحة أمامك ، اعفُ عمن ظلمك أو جرحك أو آذاك في بدنك ؛ يعطيك الله هذا الثواب الجزيل بعفوك عن أخيك .

آداب المريض مع المرض

العبدُ عبدٌ ، والرَّبُّ ربٌّ ، فعليك - أيها الحبيب - ألا تنفك عن العبودية لحظة واحدة ، فله عليك في كل حال حق وواجب ، فاحرص على أن تؤدي حق ربك بِسماحة ورضا ، وحال المرض تبين فيه معادن الرجال ، فللمريض مع المرض آداب قلَّ من يحرص عليها ، فتعال لتعرف على آداب المريض :

① **إياك والشكوى** : قال تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذِ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص : ٤١] ، تأمل أخي الحبيب في شكوى سيدنا أيوب عليه السلام إلى ربه حين اشتكى من اشتداد المرض عليه ، لم يقل : يارب أنت أمرضتني ، لم يقل : يارب مللت من المرض ، كل ما قاله : ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ ، فتعلَّم أصول الشكوى إلى ربك ، وإياك أن تشتكيه لغيره .

② **لا تسب المرض :** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ - أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ - فَقَالَ : « مَا لَكَ يَا أُمَّ السَّائِبِ - أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ - تُزْفِرِينَ ؟ » قَالَتْ : الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا ، فَقَالَ : « لَا تَسْبِي الْحُمَّى ؛ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يَذْهَبُ الْكَبِيرُ خَبَثُ الْحَدِيدِ » (مسلم : ٢٥٧٥) .

لا تسب المرض ، ولا تلعن الوجد ، ولكن كما قيل :

لَيْسَ لِلْقَيْدِ ذَنْبٌ فَيَلَامُ فَاَنْشَغِلَ بِمَنْ قَيْدَكَ وَالسَّلَامُ

③ **لا تتمن الموت :** قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضَرٍّ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَخِينِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي » (صحيح البخاري : ٥٣٤٧) .

فالله أعلم بالخير لك ، ومهما كانت شدة البلاء لا تتمن الموت ، فأنت لا تعلم بما ينتظرك بعده .

④ عليك بالصبر واحتساب الأجر: عَنْ عَطَاءِ بْنِ

أَبِي رَبَاحٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ : إِنِّي أَضْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشِّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي ، قَالَ : «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ» ، فَقَالَتْ : أَصْبِرُ ، فَقَالَتْ : إِنِّي أَتَكَشِّفُ ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشِّفَ ، فَدَعَا لَهَا (البخاري : ٥٣٢٨ ، مسلم : ٢٥٧٦) .

هذا الحديث العظيم أودُّ لو أنني كتبتَه في كلِّ عيادةٍ ومستشفى ومصحة ؛ **ففيه من الفوائد ما لا يحصىه إلا الله :**

أولاً : أن هذه المرأة فزعت إلى طلب الدعاء من رسول الله ﷺ فقالت : « فَادْعُ اللَّهَ لِي » ، فلجأت إلى التوحيد والتوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح .

ثانياً : لَمَّا خَيَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الشِّفَاءِ وَالصَّبْرِ ؛ اختارت الصبر ؛ طمعاً في الجنة ؛ فبان هنا :

❁ يقينها في الوعد .

❁ زهدا في الدنيا وتعلقها بالآخرة .

❁ علو همتها وقوة إيمانها ؛ فإن من يُصرع يتعرض لكثير من الامتهان ومتاعب الجسد والازدراء من البشر ، وهنا يحتاج إلى صبرٍ عظيم .

❁ أجمعت أمرها على الصبر على المرض ، ولكن لما تعلق الأمر بالتكشف الذي ينافي أوامر الشرع بالتستر ؛ لم تستطع إلا أن تدعو الله أن يحميها من هذا الكشف ، ويدم عليها ستره حتى في حال صرعها . . وهي في حال الصرع في غير وعيها ، ومرفوع عنها القلم ؛ فكيف بمن تتكشف اليوم ولا تطلب الستر ؛ بل ولا ترغب فيه !!

ثالثاً : إذا في مقدور العبد أن يصبر على البلاء ؛ بل ولا يطلب الشفاء ، فهذه المرأة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت بين يديها فرصة ذهبية للشفاء بدون عقاقير ولا جراحات ، ومع ذلك أعرضت عنها طلباً للجنة ، أليست لك فيها أسوة ؟

مَا لِقَلْبِكَ هَذِهِ الْقَسْوَةُ؟ أَنْسَبُكَ وَأَنْتَ رَجُلُ النِّسْوَةِ

رابعاً: من أكبر الفوائد التي نخرج بها من هذا الحديث : نصيحة لكل أخت مسلمة ، هذه المرأة أبت أن تتكشف رغم أن الكشف رُغماً عنها وليس بإرادتها ، فلا تبحني أنتِ عن الكشف ، لا تذهبي للكشف عند معالج رجل ، هل فנית المعالجات من النساء من على وجه الأرض؟ ولا تزعمي أن الرجال أمهر من النساء ؛ فَإِنْ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] ، **فنصيحتي لك:** ابحني عن معالجة مسلمة تقية وستجدين بإذن الله ؛ فإن فضل الله واسع ؛ فإن لم تجدي فعليك بمعالجة من عوام المسلمين ؛ فإن لم تجدي فامرأة أيًا كانت ، وأبعدني عن تفكيرك تمامًا الذهاب إلى معالج رجل ؛ فأين ذهب حياؤك إذا؟؟!

ثم إن الشفاء بيد الله ، يأتي به على يد من يشاء ، فتوكلي على الله واعتمدي عليه ؛ يسر لك كل أمورك .

ثم تعالَ معي - أخي الحبيب - ؛ لنطوف على بعض المرضى من السلف ؛ لتتعلم من آدابهم مع المرضى آداباً :

① كان أبو مجلز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول : « لا تحدث المريض إلا بما يعجبه » .

هذا من أدب العيادة ؛ فعند زيارتك للمريض بَشْرُهُ وصَبْرُهُ وحبُّ ربك إليه ، وذكره بالله وثبته على الإيمان .

② عن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : دخلنا على ربيعة بن الحارث نعوذه وهو ثقيل ، فقال : إنه من كان في مثل حالي هذه ملأت الآخرة قلبه ، وكانت الدنيا أصغر في عينه من ذباب .
هكذا فاشعر - أخي - بقُرْبِ الآخرة ، واجعلها تملأ قلبك ، واستشعر قُرْبَ لقاء ربك ، وأخرج الدنيا كلها من قلبك وعقلك وروحك ؛ فإن الدنيا - حال بلائك أو عدمه - لا تساوي عند الله جناح بعوضة !

③ عن الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أنه ذكر الوجد فقال : « أما

والله ما هو بِشَرُّ أيامِ المُسْلِمِ : أيامُ قُورِبَ له فيها من أجله ، وَذُكِّرَ فيها ما نَسِيَ من معاده ، وَكُفِّرَ عنه من خطاياها .

فأيام مرضك من خير أيام حياتك ، وليست بشرها ، ففيها تستشعر قرب لقاء ربك ، وتتذكر كُلِّ أمور الآخرة ، وتُكفِّرُ بها خطاياك ، فاغتتم كل لحظة من هذه الأيام لتزيد من قربك من ربك .

④ عن هشام بن عُرْوَةَ عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه خرج إلى الوليد بن عبد الملك ، حتى إذا كان بوادي القرى وجد في رجله شيئاً ، فظهرت به قرحة ، وكانوا على راحل فأرادوه على أن يركب محملاً فأبى عليهم ، ثم غلبوه فرحلوا ناقة له بِمَحْمَلٍ فركبها ، ولم يركب محملاً قبل ذلك ، فلما أصبح تلا هذه الآية : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢] حتى فرغ منها ، فقال : لقد أنعم الله على هذه الأمة في هذه المحامل بنعمة

لا يؤدون شكرها ، وترقى في رجله الوجع حتى قدم على الوليد ، فلما رآه الوليد قال : يا أبا عبد الله ، اقطعها ؛ فإنني أخاف أن يبلغ فوق ذلك ، قال : فدونك ، قال : فدعا له الطبيب فقال له : اشرب المرقد ، قال : لا أشرب مرقدا أبداً ، قال : فعذرها الطبيب واحتاط بشيء من اللحم الحي مخافة أن يبقى منها شيء فيه ضرر فيرقى ، فأخذ منشاراً فأمسه بالنار واتكأ له عروة فقطعها من نصف الساق ، فما زاد على أن يقول : حس حس ، فقال الوليد : ما رأيت شيخاً قط أصبر من هذا .

وأصيب عروة بابن له يقال له محمد في ذلك السفر ، دخل اصطبل دواب من الليل ليبول فركضته بغلة فقتلته ، وكان من أحب ولده إليه ، ولم يسمع من عروة في ذلك كلمة حتى رجع ، فلما كان بوادي القرى قال : ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] ، اللهم كان لي بنون سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة ، وكانت لي أطراف أربعة فأخذت مني طرفاً وأبقيت لي ثلاثاً ،

وايمك لئن ابتليت لقد عافيت ، ولئن أخذت لقد أبقيت ، فلما قدم المدينة جاء رجل من قومه يقال له : عطاء بن ذويب فقال : يا أبا عبد الله ، والله ما كنا نحتاج أن نسابق بك ولا أن نصارع بك ؛ ولكننا كنا نحتاج إلى رأيك والأنس بك ، فأما ما أصبت به فهو أمر ذخره الله لك ، وأما ما كنا نحب أن يبقى لنا منك فقد بقي .

ولما قدم عروة من عند الوليد قال : لا أدخل المدينة ؛ إنما أنا بها بين شامت بنكبة ، أو حاسد بنعمة ، فمضى إلى قصره بالعقيق فأقام هناك ، وصحبه قوم فيهم عيسى بن طلحة ، فلما دخل قصره قال له عيسى بن طلحة : أرنا هذه المصيبة التي نعزيك عنها ، فكشف له عن ركبته فقال له عيسى : إنا والله ما كنا نعدك للصراع ، قد أبقى الله منك أكثر : عقلك ، ولسانك ، وسمعك ، وبصرك ، ويديك ، وإحدى رجليك ، فقال له : يا عيسى ، ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني .

كل هذه المصائب والرجل ثابت صابر ﷺ ، اللهم

إنا نسألك العافية .

⑤ وعن الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : لما قُطِعَتْ رِجْلُ عروة أخذها بيده ، وقال : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تعلم أَنِي لم أنقلها إلى معصية لك قط .

الله أكبر ! إنها والله من أجمل وأروع الكلمات التي قالها الصابرون ، لئن أخذت لقد أبقيت . . نظر إلى ما عنده من كثير نعم ربه ، ولم ينظر إلى ما أخذ منه ، ولئن ابتليت لقد عافيت . . لم ينظر إلى الجزء الذي ابتلي فيه ؛ إنما نظر إلى العافية في بقية جسده ، والأعظم أنه لم يفوت ورده من القرآن ، فلم يشغله المرض - رغم شدته : قطعت رجله ، وابنه قَطَعَتْهُ الدواب بأرجلها - عن طاعة ربه .

وهكذا أحوال الرجال ..

تم عزاؤه وسعاده أنه لم يعص الله بنعمته ؛

فابتلاؤه فيها رفع درجات ورحمة ..

⑥ قال معروف : إنه ليبتلي عبده المؤمن بالأسقام

والأوجاع فيشكو إلى أصحابه ، فيقول الله ﷻ :
 « وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، مَا بَلَيْتُكَ بِهَذِهِ الْأَوْجَاعِ إِلَّا لِأَغْسِلَكَ
 مِنَ الذُّنُوبِ فَلَا تَشْتَكِنِي » .

ما أغربك وأعجبك ! الله القادرُ يبتليكَ ليغسلكَ من
 ذنوبك ، وأنت كل ما تفعله هو الشكوى ! احمَدِ الله ﷻ
 على حبه لك ورعايته واهتمامه بك ؛ فلو أنك لا تساوي
 عنده شيئاً لتركك لذنوبك .

⑦ عن سيَّار بن سلامة رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : دخلت على
 أبي العالية في مرضه الذي مات فيه ، فقال : « إِنَّ أَحَبَّهُ
 إِلَيَّ أَحَبَّهُ إِلَى اللَّهِ ﷻ » .

⑧ كان خالد الربيعي رَحِمَهُ اللهُ لَا يشكو ما يجد إلى
 أحد . . فاشتكى فأصابته ذات الجنب ، فذهب ينخاع
 فانخاع دماً ، فَأَنَّ عندها وكان لَا يَثْنُ من وجع ،
 فاستدركها فقال : « إلهي ، ما هذا جزاؤك عندي أن أثْنُ
 على وجعِ ابتليتني به » .

سبحان ربي العظيم ! يستحي أن يثن لثلا يكون أنينه
شكوى، أين هذا ممن ملأ الأرض صراخًا وتشكيًا !

٩ قال بعض الفقهاء : من الصبر ألا تحدث
بمصيبتك ولا وجعك ، ولا تزكي نفسك .

١٠ عن سلام بن أبي مطيع رَحِمَهُ اللهُ قال : دخلت
على مريض أعوده فإذا هو يئن ، فقلت : اذكر المطرحين
في الطرق ، واذكر الذين لا مأوى لهم ولا من
يخدمهم ، قال : ثم دخلت عليه بعد ذلك فلم أسمع
يئن ، فجعل يقول : اذكر المطرحين في الطرق ، واذكر
الذين لا مأوى لهم ولا لهم من يخدمهم .

إذا اشتد وجعك ، ولم تستطع كتم الأنين ؛ تذكر
أنك تنام على سرير ، وغيرك ملقاة أجسادهم في
الشوارع ، وتذكر أنك في بيت دافئ مجهز فيه كل سبل
ووسائل الراحة - مهما صغر- ، وغيرك لا يجدون
جدارًا واحدًا يستندون إليه أو يأوون إليه ، وتذكر أن

لديك زوجة أو أمًا أو أختًا تود لو أنها لا تفارقك لحظة وتخدمك بكل ما أُوتيت من قوة، وغيرك يشتهي أن يجد من يناوله كوب ماء فلا يجد! تأمل كل هذه النعم لتحمد ربك وتحبس أنينك؛ فأنت في كل حال بخير.

(١١) عن أبي الأشعث الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَهَجَرَ بِالرَّوَّاحِ، فَلَقِيَ شَدَّادَ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَالصَّنَابِحِي مَعَهُ، فَقَالَ: أَيْنَ تَرِيدَانِ رَحِمَكُمَا اللهُ؟ فَقَالَا: نَرِيدُ هَاهُنَا إِلَى أَخٍ لَنَا مَرِيضٍ نَعُودُهُ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقَالَا لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بِنِعْمَةِ اللهِ وَفَضْلِهِ، فَقَالَ شَدَّادُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا فَحَمِدَنِي وَصَبَرَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ بِهِ؛ فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا، وَيَقُولُ الرَّبُّ لِلْحَفَظَةِ: إِنِّي أَنَا صَبَرْتُ عَبْدِي هَذَا وَابْتَلَيْتُهُ فَأَجْرُوا مِنْ الْأَجْرِ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ صَحِيحٌ».

هكذا إنما الصبر من الله ، قال ﷻ : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ؛ فسل الله الصبر والعافية وتماّم الأجر .

١٢) وكان الحسن رَحِمَهُ اللهُ يَقُول : « إنما أنتم بمنزلة الغَرَضُ يُرْمَى كُلُّ يَوْمٍ ، ليس مِنْ مَرَضَةٍ إِلَّا قد أَصَابَتْكُمْ مِنْهُ رَمِيَّةٌ ، عَقِلَ مَنْ عَقِلَ ، وَجَهِلَ مَنْ جَهِلَ ، حتّى تَجِيءَ الرَمِيَّةُ الَّتِي لَا تَخْطِئُ » .

١٣) دخل أبو حفص النيسابوري رَحِمَهُ اللهُ عَلَى مريض ، فقال المريض : آه ، فقال ممن ؟ فسكت المريض ، فقال : أبو حفص : مع من ؟ فقال له المريض : كيف أكون وماذا أقول ؟ فقال له أبو حفص : لا يكون أنيئك شكوى ولا سكوئك تجلداً ؛ ولكن بين ذلك .

تَعَلَّمْ آدَابَ الْمَرَضِ ، لَا تَتَنَ ، لَا تَشْتَكِ ،
وليلهج لسانك دوماً بحمد الله وشكره والثناء عليه .

التداوي

الإسلام دين الرحمة والهدى والحكمة واليسر ورفع الحرج ، وهو دين الفطرة يوافق الطبائع الإنسانية ، ولعلم الله السابق أن الإنسان يأنف من المرض ويكرهه ويفر منه شرع للعبد أن يحذر ويتعد ويحترس ويحترز من أسباب الأمراض ، وأوحى بذلك إلى نبيه ﷺ .

تحذير الشرع من أسباب الأدواء والأمراض،

① عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « عَلَيْنَكُمْ بِالْبَّانِ الْبَقَرِ وَسُمْنَانِهَا ، وَإِيَّاكُمْ وَلُحُومَهَا ؛ فَإِنَّ أَلْبَانَهَا وَسُمْنَهَا دَوَاءٌ وَشِفَاءٌ ، وَلُحُومُهَا دَاءٌ » .
(المستدرک : ٨٢٣٢ ، صحيح الجامع : ٤٠٦٠) .

② وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْأُخْرَى شِفَاءٌ » (البخاري : ٦٣١٥٢) .

مسألة مقمة

ثم.....

إذا مرض الإنسان ، فماذا له ؟ وماذا عليه ؟

هل له أن يتداوى ويتناول أسباب الشفاء ؟

هل له أن يفر من المرض ويبحث عن وسائل العلاج ؟

كل هذه أسئلة شرعية تحتاج إلى فتوى صحيحة .

وابتداءً : هل تناول العلاج والتداوي والبحث عن الشفاء يعد

اعتراضاً على قدر الله أو ينافي التوكل واليقين في الله ؟!

تعال - أخي الحبيب - لنعالج هذه المسألة بهدوء وروية من

خلال الأقوال والأحوال النبوية :

التداوي لا ينافي التوكل

❦ عَنْ أَبِي خُزَامَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ رُقَى نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوِي بِهِ ، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا ، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : « هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ » .

(الترمذي : ٢٠٦٥ ، وحسنه الألباني في تخريج مشكاة الفقر : ١١) .

هذا جوابٌ كافٍ شافٍ من الحبيب محمد ﷺ ، والسؤال شامل كامل : رُقَى وأدوية وتقاة ، كل ذلك مِنْ قَدَرِ اللَّهِ ، ولا حرج على فضل الله والحمد لله . . .

❦ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ » (أحمد : ٣٧٧ / ١ ، الصحيحة : ٤٥١) .

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح هذا الحديث فِي « فتح الباري » :

واعلم أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ : « مَا أَنْزَلَ اللهُ بِرَزَقٍ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً » تَفْوِيضٌ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ لَهُ ، وَإِنَّمَا أَنْزَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ بِمَعْنَى أَعْلَمَهُمْ إِيَّاهُ وَأَذِنَ لَهُمْ فِيهِ ، كَمَا أَعْلَمَهُمْ التَّغْذِيَّ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَبَاحَهُ لَهُمْ ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي جَوَازِ التَّدَاوِي ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ .

ثم اعلم أَنَّ بَعْضَ الْأَدْوِيَةِ لَا يَعْلَمُهَا كُلُّ أَحَدٍ ؛ لِذَلِكَ قَالَ ﷺ : « عِلْمُهُ مَنْ عِلْمُهُ وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلُهُ » ، وَفِيهَا كُلُّهَا إِبْتَاتُ الْأَسْبَابِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ لِمَنْ إِغْتَقَدَ أَنَّهَا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَقَدَّرُ بِهِ ، وَأَنَّهَا لَا تَنْجَعُ بِذَوَاتِهَا بَلْ بِمَا قَدَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا ، وَأَنَّ الدَّوَاءَ قَدْ يَنْقَلِبُ دَاءٌ إِذَا قَدَّرَ اللهُ ذَلِكَ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ : « بِإِذْنِ اللهِ » ، فَمَدَارُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى تَقْدِيرِ اللهِ وَإِرَادَتِهِ ،

فَالْتَدَاوِي لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ ، كَمَا لَا يُنَافِيهِ دَفْعُ الْجُوعِ
وَالْعَطَشِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ، وَكَذَلِكَ تَجَنُّبُ الْمُهْلِكَاتِ ،
وَالدُّعَاءِ بِطَلَبِ الْعَافِيَةِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ .

وَمِمَّا يَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ ﷺ : « جَهْلُهُ مِنْ جَهْلِهِ » :
مَا يَقَعُ لِبَعْضِ الْمَرْضَى أَنَّهُ يَتَدَاوَى مِنْ دَاءٍ بِدَوَاءٍ فَيَبْرَأُ ،
ثُمَّ يَغْتَرِيهِ ذَلِكَ الدَّاءُ بِعَيْنِهِ فَيَتَدَاوَى بِذَلِكَ الدَّوَاءِ بِعَيْنِهِ
فَلَا يَنْجِعُ ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْجَهْلُ بِصِفَةِ مِنْ صِفَاتِ
الدَّوَاءِ ، قُرْبَ مَرْضَيْنِ تَشَابَهَا وَيَكُونُ أَحَدُهُمَا مُرَكَّبًا
لَا يَنْجِعُ فِيهِ مَا يَنْجِعُ فِي الَّذِي لَيْسَ مُرَكَّبًا ، فَيَقَعُ الْخَطَأُ
مِنْ هُنَا ، وَقَدْ يَكُونُ مُتَّحِدًا لَكِنْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ لَا يَنْجِعَ
فَلَا يَنْجِعُ وَمِنْ هُنَا تَخْضَعُ رِقَابُ الْأَطِبَّاءِ .

وفي حديث مداواة السيدة فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ
جرحه في غزوة أحد مشروعية التداوي ومعالجة الجراح
واتخاذ الثرس في الحرب ، وَأَنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي
التَّوَكُّلِ ؛ لِصُدُورِهِ مِنْ سَيِّدِ الْمُتَوَكِّلِينَ ﷺ .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بالأمر بالتداوي ، وأنه لا ينافي التوكل ، كما لا ينافية دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها ، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله عَزَّوَجَلَّ مقتضيات لمسيباتها قدرًا وشرعًا ، وأن تعطيلها يقدر في نفس التوكل ، كما يقدر في الأمر والحكمة ويضعفه ؛ من حيث يظن مُعْطَلُهَا أن تركها أقوى في التوكل ، فإنَّ تَرْكَهَا عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ، ودفع ما يضره في دينه ودنياه ولا بد مع اعتماد القلب على الله من مباشرة الأسباب ؛ وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع ؛ فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزًا .

وفي ذلك ردُّ على من أنكر التداوي وقال : إن كان الشفاء قد قُدِّرَ فالتداوي لا يفيد ، وإن لم يكن قد قُدِّرَ فكذلك ، وأيضًا فإن المرض حصل بقدر الله وقَدَّرُ الله

لا يُدْفَع ولا يُرَدُّ ، وهذا السؤال هو الذي أورده الأعراب على رسول الله ﷺ ، وأما أفاضل الصحابة رضي الله عنهم فأعلم بالله وحكمته وصفاته من أن يوردوا مثل هذا .

وقد أجابهم النبي ﷺ بما شفى وكفى فقال بأن هذه الأدوية والرقى والتقى هي من قدر الله ، فما خرج شيء عن قدره ، بل يُرَدُّ قدره بقدره ، وهذا الرد من قدره ، فلا سبيل إلى الخروج عن قدره بوجه ما ، وهذا كَرَدُ قدر الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها ، وكَرَدُ قدر العدو بالجهاد ، وكلُّ من قدر الله : الدافع والمدفوع والدفع .

ويقال لمُورِد هذا السؤال : هذا يوجب عليك ألا تبشر سبباً من الأسباب التي تجلب بها منفعة أو تدفع بها مضرة ؛ لأن المنفعة والمضرة إن قُدِّرَتَا لم يكن بُدٌّ من وقوعهما ، وإن لم تقدرا لم يكن سبيل إلى وقوعهما وفي ذلك خراب الدين والدنيا وفساد العالم .

وَالْحَاصِلُ أَنَّ حُصُولَ الشُّفَاءِ بِالدَّوَاءِ إِنَّمَا هُوَ كَدَفْعِ
الْجُوعِ بِالْأَكْلِ وَالْعَطَشِ بِالشُّرْبِ ، وَهُوَ يَنْجَعُ فِي ذَلِكَ
فِي الْغَالِبِ ، وَقَدْ يَتَخَلَّفُ لِمَانِعٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ثم ليطمئن قلبك ؛ تعال لنطالع في الفصل القادم :
تداوي النبي ﷺ .

ياقوب
yaqob.com



تداوي النبي

اعلم - أخي الحبيب ، يرحمك الله - أن أعظم نعم الله علينا دين الإسلام ، وأعظم النعم في دين الإسلام النبي محمد ﷺ ؛ إذ بعثه الله إلينا وجعلنا من أمته ، فقد أرسله الله بشراً مثلنا ، يعاني مما يعاني منه البشر ، فكان لنا فيه الأسوة والقدوة .

وقد قدّر الله على حبيبه محمد ﷺ المرض في فترات كثيرة من حياته ، فتداوى وتطبّب ، وأيضاً لكونه زوجاً وأباً وصاحباً داوياً ونصح ؛ فتعال لنرى - حبيبي في الله - كيف تداوى النبي ﷺ :

① عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ عَنْ أَجْرِ الْحَجَّامِ فَقَالَ : اخْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، حَجَمَهُ أَبُو طَيْبَةَ ، وَأَعْطَاهُ صَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ ، وَكَلَّمَ مَوَالِيَهُ فَخَفَّفُوا عَنْهُ ، وَقَالَ :

«إِنَّ أَمْثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ» (البخاري : ٥٣٧١) .
والحجامة اليوم معروفة ، وقد عاد أهل الطب إليها
بعد هجرها سنين ؛ ليعترفوا أَنَّ فيها شفاء ليس في
غيرها ، وهذا من معجزات النبي ﷺ فقد قال :

② عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ كَثِيرٌ : إِنَّهُ
حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحْتَجِمُ عَلَى هَامَتِهِ وَبَيْنَ كَتِفَيْهِ
وَهُوَ يَقُولُ : «مَنْ أَهْرَاقَ مِنْ هَذِهِ الدَّمَاءِ فَلَا يَضُرَّهُ أَنْ لَا
يَتَدَاوَى بِشَيْءٍ لَشَيْءٍ» (صحيح الجامع : ٤٩٢٦) .

③ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى
النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : «يَا مُحَمَّدُ ، اسْتَكَيتَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ،
قَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ أَزْغِيكَ ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ، مِنْ شَرِّ
كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ ، بِاسْمِ اللَّهِ أَزْغِيكَ » .
(مسلم : ٢١٨٦) .

④ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ :
كَانَ إِذَا اسْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ رَقَاهُ جَبْرِيلُ قَالَ : «بِاسْمِ اللَّهِ

يُتْرِكَ ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ،
وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ » (مسلم : ٢١٨٥) .

وهذا هو الدواء الثاني الذي كان يستعمله النبي ﷺ :
الرُّقِيَّةُ ، وهي الدعاء وصدق اللجوء إلى الله ﷻ ، وفيها
التوسل باسم الله ﷻ ، وإذا نال العبد بركة هذا الاسم ؛
شفاه الله من كل داء .

⑤ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ عَلَى
نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمَعْوَذَاتِ ، فَلَمَّا ثَقُلَ
كُنْتُ أَنفُثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِبَرَكَتِهَا .
(البخاري : ٥٤٠٣) .

وهذا هو الدواء الثالث الذي كان يتناوله ﷺ :
القرآن ، وفيه الشفاء من كل داء ، قال ﷻ : ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ
الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا
خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

⑥ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اخْتَجَمَ ،

وَأَعْطَى الْحَجَّامَ أَجْرَهُ ، وَاسْتَعَطَ .

(البخاري : ٥٣٦٧ ، مسلم : ١٢٠٢) .

وهذا هو الدواء الرابع الذي تداوى به النبي ﷺ أنه
اسْتَعَطَ ، أي : استعمل السُّطْطَ ، وسيأتي معنا وصف
هذا الدواء .

ولم يثبت أكثر من هذا مطلقًا ؛ لا في تداويه ﷺ
في نفسه ، ولا في مداواته لغيره . . . وسيأتي في باب
« الصيدلية النبوية » نصائح بأشياء أكثر من هذا فاصطبر .



مداواة النبي ﷺ للمرضى

① عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أَتَى بِهِ قَالَ : « أَذْهَبَ الْبَاسُ رَبَّ النَّاسِ ، أَشْفَى وَأَنْتَ الشَّافِي ، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءٌ لَا يَغَايِرُ سَقَمًا » (البخاري : ٥٣٥١ ، مسلم : ٢١٩١) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَرْفِي يَقُولُ : « امْسَحْ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ » (البخاري : ٥٤١٢) .

② عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ . (مسلم : ٢١٩٢) .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : كان من هديه ﷺ فعل التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه ؛ ولكن لم يكن من هديه ﷺ ولا هدي

أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى أقرباذين ؛ بل كان غالب أدويتهم بالمفردات ، وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه أو يكسر سَوْرَتَه ، وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العرب والترك وأهل البوادي قاطبة ، وإنما عني بالمركبات الروم واليونانيون ، وأكثر طب الهند بالمفردات .

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل عنه إلى الدواء ، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل عنه إلى المركب ، قالوا : وكل داء قُدِرَ على دفعه بالأغذية والجُمَيَّة لم يحاول دفعه بالأدوية .

قالوا : ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية ؛ فإن الدواء إذا لم يجد في البدن داءً يُحَلِّله ، أو وجد داءً لا يوافقه ، أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه أو كلفيته ؛ تشبث بالصحة وعبث بها ، وأرباب التجارب من الأطباء طبهم بالمفردات غالباً ، وهم أحد فرق الطب الثلاث .

الأدوية النبوية

ثم تعالَ أخي الحبيب إلى الصيدلية النبوية ؛ لنرى ما تحتويه من أدوية وطب وعلاجات ؛ لتكون على بصيرة من أمرك ؛ ولكن شرط ما أذكره لك : اليقين والصبر ، فلا بد من اليقين في كلام الله ورسوله ، والتصديق الجازم ، ثم لابد من الصبر حتى يؤتي العلاج ثمرته ؛ فالزم هذين الأصلين أولاً ، وليقوَ إيمانك بهما : اليقين والصبر .

وأؤكد عليك : اليقين في الوعد أنه حق ، ثم الصبر حتى يؤتي ثمرته ، فإن هذه الأدوية النبوية أتت ممن لا ينطق عن الهوى ، وإنما هي وحي من ربه الكريم أنزله عليه رحمة به وبأمرته .

وتكرار العلاج النبوي سواء كان ذكراً أو دعاء أو دواء يكون أنجح وأبلغ ، كتكرار الدواء الطبيعي ؛ لاستقصاء استخراج المادة ، فاصبر وسيأتي الشفاء بإذن الله .

الصيدلية النبوية،

(١) القرآن

١ قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

٢ وقال عز وجل : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٤] .

٣ وقال سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٥٧] .

٤ عَنْ خَارِجَةَ بِنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِي عَنْ عَمِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا مِنْ عِنْدِهِ ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ عِنْدَهُمْ رَجُلٌ مَّجْنُونٌ مُّوثِقٌ بِالْحَدِيدِ ، فَقَالَ أَهْلُهُ : إِنَّا حَدَّثْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ جَاءَ

بِخَيْرٍ ، فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تُدَاوِيهِ ؟ فَرَقَيْتُهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ ،
فَبَرَأَ ، فَأَعْطَوْنِي مِائَةَ شَاةٍ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : « هَلْ إِلَّا هَذَا ؟ » وَفِي رَوَايَةٍ : « هَلْ قُلْتَ
غَيْرَ هَذَا ؟ » قُلْتُ : لَا ، قَالَ : « خُذْهَا ، فَلَعَمْرِي لِمَنْ
أَكَلَ بِرُقِيَّةٍ بَاطِلٍ ، لَقَدْ أَكَلَتْ بِرُقِيَّةٌ حَقٌّ » .

(أبي داود : ٣٨٦٩ ، صحيح أبي داود : ٢٩١٨) .

⑤ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا
اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ ، فَلَمَّا اشْتَدَّ
وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ ؛ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا .

(البخاري : ٤٧٢٨ ، مسلم : ٢١٩٢) .

⑥ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَانِّ وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ ، حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ ،
فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا .

(الترمذي : ٢٠٥٨ ، صحيح الجامع : ٤٩٠٢) .

⑦ قَالَ مَكْحُولٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ شِفَاءً ، وَذَكَرَ

النَّاسَ دَاءً .

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية ، وأدواء الدنيا والآخرة ، وما كُلُّ أحدٍ يُؤْهَل ولا يوفق للاستشفاء بالقرآن ، وإذا أحسن العليل التداوي به ، وعالج به مرضه بصدق وإيمان ، وقبول تام ، واعتقاد جازم ، واستيفاء بشروطه ؛ لم يقاومه الداء أبدًا ، وكيف تُقاومُ الأدواءُ كلامَ ربِّ الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدَّعَها ، أو على الأرض لقطَّعَها ، فما من مرضٍ من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على علاجه ، وسببه ، والحِمْيَةِ منه لمن رزقه الله فهما لكتابه ، والله يُعَزِّجُكَ قد ذكر في القرآن أمراض القلوب والأبدان ، وطب القلوب والأبدان ، قال تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي أَلَكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : فمن لم يشفه القرآن فلا شفاء الله ، ومن لم يكفه فلا كفاه الله ، ولو أحسن العبد التداوي بالقرآن لرأى لذلك تأثيرًا عجيبًا في الشفاء العاجل .

وقال رَحِمَهُ اللهُ : لقد مرَّ بي وقتٌ في مكة سَقِمْتُ فيه ،

ولا أجد طبيباً ولا دواءً ، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة ، فأرئى لها تأثيراً عجيباً ، آخذُ شربةً من ماء زمزم وأقرأها عليها مراراً ثم أشربه ؛ فوجدت بذلك البرء التام ، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثيرٍ من الأوجاع فأنفعُ به غاية الانتفاع ، فكنت أصفُ ذلك لمن يشتكي ألماً ؛ فكان كثيرٌ منهم يبرأ سريعاً .
 فالله هو الطبيب ، وكلامه هو الدواء ؛ فعليك بالقرآن ، استشفِ به ؛ تجنِ بركته على صحتك وصحة قلبك .

(٢) الدعاء

عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَقَالَ ثَابِتٌ : يَا أَبَا حَمْزَةَ ، اسْتَكْنَيْتُ ، فَقَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ : بَلَى ، قَالَ : «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَاسِ ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» .

(البخاري : ٥٤١٠) .

قوله : « لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ » : إشارة إلى أَنَّ كُلَّ مَا يَقَعُ

مِنَ الدَّوَاءِ وَالتَّدَاوِي إِنَّ لَمْ يُصَادِفْ تَقْدِيرَ اللَّهِ تَعَالَى
بِالشِّفَاءِ وَإِلَّا فَلَا يُنْفَعُ .

وَفِي الْإِلْتِجَاءِ إِلَى الدُّعَاءِ مَزِيدٌ فَائِدَةٌ لَيْسَتْ فِي
التَّدَاوِي بغيرِهِ ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ لِلرَّبِّ
سُبْحَانَهُ ، بَلْ مَنَعَ الدُّعَاءُ مِنْ جِسْ تَرْكَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ
إِتْكَالًا عَلَى مَا قُدِّرَ ، فَيُلْزَمُ تَرْكَ الْعَمَلِ جُمْلَةً ، وَرَدَّ الْبَلَاءِ
بِالدُّعَاءِ كَرَدُ السَّهْمِ بِالتَّرْسِ ، وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِيمَانِ
بِالْقَدْرِ أَنْ لَا يَتَرَسَّ مِنْ رَمِي السَّهْمِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

والدعاء إذا سلِمَ من الموانع من أنفع الأسباب في
دفع المكروه وحصول المطلوب ، فهو من أنفع
الأدوية ، وخاصة مع الإلحاح فيه ، وهو عدو البلاء ،
يدافعه ويعالجه ، ويمنع نزوله ، أو يخففه إذا نزل :

❦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ
وَمِمَّا لَمْ يَنْزَلْ ؛ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ » .

(الترمذي : ٣٥٤٨ ، صحيح الترمذي : ٢٨١٣) .

❦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يَرُدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ » .

(الترمذي : ٢١٣٩ ، حسن ، صحيح الجامع : ٧٦٨٧) .

❦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا يُغْنِي حَذَرُ مَنْ قَدَرٍ ، والدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

(حسن ، صحيح الجامع : ٧٧٣٩ ، ويعتلجان أي : يتصارعان ويتدافعان) .

ولكن ها هنا أمر ينبغي التفطن له : وهو أَنَّ الآيات ،

والأذكار ، والدعوات ، والتعوذات التي يُسْتَشْفَى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ، ولكن تستدعي قَبُولَ المريض وقوة الفاعل وتأثيره ، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل ، أو لعدم قبول المنفعل ، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء ؛ ولذلك فإن العلاج بالرقى لا يفيد إلا إذا توفر فيه أمران :

الأمر الأول : من جهة المريض ، يكون بقوة نفسه

وصدق توجّهه إلى الله تعالى ، واعتقاده الجازم بأن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان ؛ فإن هذا نوع محاربة ، والمحارب لا يتم له الانتصار من عدوه إلا بأمرين :

❖ أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا .

❖ وأن يكون الساعد قويًا .

فمتى تخلف أحدهما لم يغن السلاح كثير طائل ، فكيف إذا عُدِمَ الأمران جميعًا ! يكون القلب خرابًا من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه ، ولا سلاح له .

الأمر الثاني : من جهة المُعالِج بالقرآن والسنة ، بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا أن يكون صحيحًا وقويًا ؛ لهذا قال ابن التين رَحِمَهُ اللهُ : « الرقي بالمعوذات وغيرها من أسماء الله هو الطب الروحاني ، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى » .

وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

① أن تكون بكلام الله تعالى ، أو بأسمائه وصفاته ،
أو كلام رسوله ﷺ .

② أن تكون باللسان العربي ، أو بما يعرف معناه
من غيره .

③ أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بقدرة الله
تعالى ، والرقية إنما هي سبب من الأسباب .

تحصنات:

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : فمن التعوذات والرقى
الإكثار من قراءة المعوذتين ، وفاتحة الكتاب ، وآية
الكرسي ، وحفظ سورة البقرة .

ومنها التعوذات النبوية :

نحو: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ .

ونحو: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ ، وَمِنْ كُلِّ غَيْنٍ لَآمَةٍ .

ونحو: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ .

ومنها: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ ، وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَخْضَرُونِ .

ومنها: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْتَمَ ، اللَّهُمَّ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ .

ومنها: أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمَ

مِنْهُ ، وَبِكَلِمَاتِهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ ،
وَأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَغْلَمْ ، مِنْ شَرِّ
مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ لَا أُطِيقُ شَرَّهُ ،
وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، إِنَّ رَبِّي عَلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

ومنها: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ
وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ
لَمْ يَكُنْ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، أَغْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ،
وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ
نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ
أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

وان شاء قال: تَخَصَّصْتُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
إِلَهِي وَإِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَاعْتَصَمْتُ بِرَبِّي وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ ،
وَتَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَاسْتَدْفَعْتُ الشَّرَّ
بِلا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، حَسْبِيَ الرَّبُّ مِنَ الْعِبَادِ .
 حَسْبِيَ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ ..
 حَسْبِيَ الرَّازِقُ مِنَ الْمَرْزُوقِ ..
 حَسْبِيَ الَّذِي هُوَ حَسْبِي ..
 حَسْبِيَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ .
 حَسْبِيَ اللهُ وَكَفَى ، سَمِعَ اللهُ لِمَنْ دَعَا ، لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ مَرَمَى ،
 حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ،
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

ومن جرَّبَ هذه الدعوات والتعوذات عرف مقدار
 منفعتها وشدة الحاجة إليها ، وهي تمنع وصول أثر
 العائن وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها وقوة
 نفسه واستعداده ، وقوة توكله وثبات قلبه ؛ فإنها سلاح
 والسلاح بضاربه .

علاج العينعلاج الإصابة بالعين أقسام :القسم الأول : قبل الإصابة ، وهو أنواع :

① التحصن ، وتحصين من يُخاف عليه بالأذكار ، والدعوات ، والتعوذات المشروعة ، وهي تستخدم كذلك في علاج السحر ، وقد سبق معك في الفقرة السابقة جملةً من التعوذات والتحصينات العظيمة فالزمها واحفظها ، وعلمها أولادك وانشرها .

② يدعو من يُخشى أو يخاف الإصابة بعينه - إذا رأى من نفسه أو ماله أو ولده أو أخيه أو غير ذلك مما يعجبه - بالبركة فيقول : « ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ » ؛ لقوله ﷺ : « عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ إِخَاهُ ؟ ! إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَذْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ » (ابن ماجه : ٣٥٠٩ ، صحيح ابن ماجه : ٢٨٢٨) .

③ ستر محاسن من يُخاف عليه العين .

القسم الثاني: بعد الإصابة بالعين ، وهو أنواع.

١) إذا عُرِفَ العائنُ أَمَرَ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ يَغْتَسِلُ بِوَضُوئِهِ المصابُ بالعين .

٢) الإكثار من قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين ، وفاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، وخواتيم سورة البقرة ، والأدعية المشروعة في الرقية ، مع النفث ومسح موضع الألم باليد اليمنى .

٣) يقرأ في ماء مع النفث ، ثم يشرب منه المريض ويصب عليه الباقي ، وإذا كانت القراءة في ماء زمزم كان أكمل إن تيسر ، أو ماء السماء .

القسم الثالث: عمل الأسباب التي تدفع عين الحاسد ،

وهي كالتالي: yaqob.co

١) الاستعاذة بالله من شره .

٢) تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه سبحانه ،

« اخْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، اخْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ » .

(الترمذي : ٢٥١٣ ، صحيح الجامع : ٧٩٥٧) .

③ الصبر على الحاسد والعفو عنه ؛ فلا يقاتله ، ولا يشكوه ، ولا يحدث نفسه بأذاه .

④ التوكل على الله ﷻ ، ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق : ٣] .

⑤ لا يخاف الحاسد ، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه ، وهذا من أنفع الأدوية .

⑥ الإقبال على الله والإخلاص له وطلب مرضاته سبحانه .

⑦ التوبة من الذنوب ؛ لأنها تسلط على الإنسان أعداءه ، ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

⑧ الصدقة والإحسان ما أمكن ؛ فإن لذلك تأثيراً عجبياً في دفع البلاء والعين وشر الحاسد .

٩) إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه ، فكلما ازداد لك أذى وشرًا وبغيًا وحسدًا ؛ ازدادت إليه إحسانًا وله نصيحةٌ وعليه شفقةٌ ، وهذا لا يوفق له إلا من عَظَّمَ حَظَّهُ من الله .

١٠) تجريد التوحيد وإخلاصه للعزیز الحكيم الذي لا يضر شيءٌ ولا ينفع إلا بإذنه سبحانه ، وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب ؛ فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين .
هذه عشرة أسباب يُدفع بها شر الحاسد والعائن والساحر .

علاج القرحة والجرح

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِضْبَاعِهِ هَكَذَا ، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا : « بِاسْمِ اللَّهِ ، تُزَبُّ أَرْضُنَا ، بِرِيقَةٍ بَغِضْنَا ، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا » (مسلم : ٢١٩٤) .

ومعنى الحديث : أن يأخذ من ريقة نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب ، فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ، ويقول هذا الكلام في حال المسح .

علاج المصيبة

① **التسليم :** ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [٢٢] لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣] .

② **الإيمان :** ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١] .

فالإيمان بالله الخالق القادر القاهر فوق عباده ؛ يهدي القلب ويصلحه ويهون المصيبة ويجلب الأجر ، فتصير المحنة منحة ، والبلية عطية ، وما أجمل هذا وأحسنه !

③ **الاسترجاع:** عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ اللَّهُمَّ أَجْزِنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا ؛ إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا » (مسلم : ٩١٨) .

④ **الحمد:** عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ : قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : حَمْدَكَ وَاسْتَزَجَعَ ، فَيَقُولُ اللَّهُ : ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ » .

(الترمذي : ١٠٢١ ، حسن ، الصحيحة : ١٤٠٨) .

⑤ **الاحتساب:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ اخْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ » . (البخاري : ٦٠٦٠) .

٦) انتظار الجزاء في الآخرة :

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « أَتُحِبُّهُ ؟ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَحَبُّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ ، فَقَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لِي : « مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاتَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيهِ : « أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ أَبَا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَهُ خَاصَّةٌ أَمْ لِكُلِّنَا ؟ قَالَ : « بَلْ لِكُلِّكُمْ » .

(أحمد : ٤٣٦ / ٣ ، صحيح الترغيب والترهيب : ٢٠٠٧) .

٧) الصبر :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ ؛ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ - يُرِيدُ عَيْنَيْهِ - » . (البخاري : ٥٣٢٩) .

٨) الرضا :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عِظْمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظْمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ » (الصحيحة : ١٤٦) .

علاج الهم والحزن

① قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي ؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا » ، فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ : « بَلَى ، يَتَّبِعِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا » (أحمد : ٣٩١ / ١ ، الصحيحة : ١٩٩) .

② كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الهمِّ وَالْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَضَلَعِ الدِّينِ ، وَغَلْبَةِ الرِّجَالِ » (البخاري : ٦٠٠٨) .

علاج الكرب

① عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ » .

(البخاري : ٥٩٨٦ ، مسلم : ٢٧٣٠) .

② قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ : اللَّهُمَّ رَحِمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأُضْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » .

(أبي داود : ٥٠٩٠ ، حسن ، صحيح الجامع : ٣٣٨٨) .

③ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعْوَةُ ذِي الثَّوَنِ إِذَا دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ » .

(المذاهب : ٣٥٠٥ ، سنن أبي داود : ٢٧٨٥) .

④ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ أَوْ فِي الْكَرْبِ : اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» .
(أبي داود : ١٥٢٥ ، حسن ، صحيح الجامع : ٢٦٢٣) .

علاج المريض لنفسه

❦ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ شَكَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا ، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ» (مسلم : ٢٢٠٢) .

❦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ؛ صَدَقَهُ رَبُّهُ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ؛ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَخَدِي لَا شَرِيكَ لِي ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي الْمُلْكُ وَلِي

الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي « وكان يقول : « مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمُهُ النَّارُ » .
(الترمذي : ٣٤٣٠ ، صحيح الترمذي : ٢٧٢٧) .

❁ عن أبي غَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حُمِمْتُ بَنِيَسَابُورَ ، فَأُطْبِقْتُ عَلَيَّ الْحُمَى ، فَدَعَوْتُ بِهَذَا الدُّعَاءِ : اللَّهُمَّ كَلِّمْنَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ نِعْمَةً قَلَّ عِنْدَهَا شُكْرِي ، وَكَلِّمْنَا ابْتَلَيْتَنِي بِبَلِيَّةٍ قَلَّ عِنْدَهَا صَبْرِي ، فَيَا مَنْ قَلَّ شُكْرِي عِنْدَ نِعْمَتِهِ فَلَمْ يَخْذِلْنِي ، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلَائِهِ صَبْرِي فَلَمْ يِعَاقِبْنِي ، وَيَا مَنْ رَأَى عَلَيَّ الْمَعَاصِيَ فَلَمْ يَفْضَحْنِي ؛ اكشِفْ ضَرْيَ ، قَالَ : فَذَهَبَ عَنِّي .

الدعاء للمريض عند عيادته

❁ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَخْضَرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ ؛ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ

مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ « (صحيح أبي داود : ٢٦٦٣) .

❦ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا ، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى جَنَازَةٍ » وفي رواية : « إِلَى صَلَاةٍ » .

(أبي داود : ٣١٠٧ ، صحيح أبي داود : ٢٦٦٤) .

علاج القلق والفرع في النوم

❦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ ؛ فَلْيَنْفِثْ حِينَ يَسْتَيْقِظُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ ، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ » (صحيح ، سنن ابن ماجه : ٣٩٠٩) .

❦ « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَخْضُرُونِ » .

(حسن ، سنن أبي داود : ٣٨٩٣) .

علاج الحمى

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ؛ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ » (البخاري : ٣٠٨٨) .

علاج الغضب

علاج الغضب يكون بطريقتين :

الطريق الأول: الوقاية:

وتحصل باجتنب أسباب الغضب ، ومن هذه الأسباب : الكبر ، والإعجاب بالنفس ، والافتخار ، والحرص المذموم ، والمزاح في غير مناسبة ، والهزل وما شابه ذلك .

الطريق الثاني: العلاج إذا وقع الغضب:

وينحصر في أربعة أنواع :

① الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم : عَنْ مُعَاذِ بْنِ

جَبَلٌ رَضِيَ عَنْهُ قَالَ : اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَغْضِبُ وَيَخْمَرُ وَجْهَهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » فَقَامَ إِلَى الرَّجُلِ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : أَتَذَرِي مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْفَا؟ قَالَ : « إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ ذَا عَنْهُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أَمَجْنُونَا تَرَانِي ؟ (البخاري : ٥٧٦٤ ، مسلم : ٢٦١٠) .

② الوضوء .

③ تغيير الحالة التي عليها الغضب : بالجلوس أو الاضطجاع ، أو الخروج ، أو الإمساك عن الكلام ، أو غير ذلك .

④ استحضار ما ورد في كظم الغيظ من الثواب ، وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان :

❦ عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ ؛ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ » (حسن ، صحيح الجامع : ٦٥٢٢) .

❁ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّبَهُ أَمَضَاهُ ؛ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

(الطبراني في الكبير : ١٢ / ٤٥٣ ، حسن ، الصحيحة : ٩٠٦) .

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ؛ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » (مسلم : ٢٦٠٨) .

(٢) الصدقة

❁ قَالَ ﷺ : « دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ » .

(المعجم الكبير : ١٠ / ١٢٨ ، حسن ، صحيح الجامع : ٣٣٥٨) .

❁ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « صَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ ، وَفِعْلُ الْمَعْرُوفِ بَقِيَ مَصَارِعُ الشُّوْءِ » (صحيح الجامع : ٣٧٦٠) .

(٤) زمزم

❦ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « زَمَزَمُ طَعَامُ طُعْمٍ ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ » (المعجم الصغير : ٢٩٥ ، صحيح الجامع : ٣٥٧٢) .

❦ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَاءُ زَمَزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ ، إِنْ شَرِبْتَهُ تَسْتَشْفِي شَفَاكَ اللَّهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِشَبْعِكَ أَشْبَعَكَ اللَّهُ ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ لِقَطْعِ ظِمْتِكَ قَطَعَهُ اللَّهُ ، وَهِيَ هَزْمَةُ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَسُقْيَا اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

(الدارقطني : ٢٣٨ ، حسن ، صحيح الترغيب والترهيب : ١١٦٤) .

❦ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمَزَمَ ، فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ ، وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ بَوَادِي بَرَهَوَاتٍ بَقِيَّتُهُ حَضَرَمَوْتٌ كَرَجَلِ الْجَرَادِ مِنَ الْهَوَامِّ ؛ يُضْبِحُ يَتَدَفَّقُ وَيُمْسِي لَا بَلَالَ بِهَا » (صحيح الجامع : ٣٣٢٢) .

(٥) العسل

❦ قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩] .

❦ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ ، فَقَالَ : « اسْقِهِ عَسَلًا » ، ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ : « اسْقِهِ عَسَلًا » ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ : « اسْقِهِ عَسَلًا » ، ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَقَالَ : « صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ ، اسْقِهِ عَسَلًا » فَسَقَاهُ فَبَرَأَ .

(البخاري : ٥٣٦٠ ، مسلم : ٢٢١٧) .

نعم : فكمية العسل التي تناولها في المرة الأولى والثانية لم تكن كافية ، فأمر النبي ﷺ أخاه أن يستمر في سقيه العسل حتى يُشفى .

(١) الحجامة

❦ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :
 «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ - أَوْ يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ
 أَدْوِيَّتِكُمْ - خَيْرٌ ؛ فَفِي شَرْطَةِ مِخْجَمٍ ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ ، أَوْ
 لَذْعَةٍ بِنَارٍ تَوَافِقُ الدَّاءَ ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أُكْتَوِيَ» .

(البخاري : ٥٣٧٩ ، مسلم : ٢٢٠٥) .

❦ قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْتَجِمُ وَلَمْ يَكُنْ
 يَظْلِمُ أَحَدًا أَجْرَهُ (البخاري : ٢١٦٠) .

❦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
 «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ ، أَوْ هُوَ مِنْ أَمْثَلِ
 دَوَائِكُمْ» (البخاري : ٥٣٧١ ، مسلم : ١٥٧٧) .

❦ عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «إِنْ مِنْ
 خَيْرٍ مَا تَدَاوَى بِهِ النَّاسُ الْحِجَمُ» (الصحيحة : ١١٧٦) .

❦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« مَنْ اخْتَجَمَ لِسَبْعَ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَإِخْدَى وَعِشْرِينَ ؛
كَانَ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ » (حسن ، الصحيحة : ٦٢٢) .

❦ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اخْتَجَمَ
عَلَى وَرْكِهِ مِنْ وَثْءٍ كَانَ بِهِ (وجع يصيب العضو من غير
كسر) (ابن ماجه : ٣٤٨٥ ، صحيح ابن ماجه : ٢٨٠٧) .

❦ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَثْمَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ
يَخْتَجِمُ عَلَى هَامَتِهِ وَيَبْنِ كَتِفَيْهِ وَيَقُولُ : « مَنْ أَهْرَاقَ مِنْهُ
هَذِهِ الدَّمَاءَ فَلَا يَضُرُّهُ أَنْ لَا يَتَدَاوَى بِشَيْءٍ لَشَيْءٍ » .
(ابن ماجه : ٣٤٨٤ ، صحيح ابن ماجه : ٢٨٠٦) .

❦ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي بِهِ : « أَنَّهُ لَمْ يَمُرَّ عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا
أَمَرُوهُ : أَنْ مُرَّ أَمَّتَكَ بِالْحِجَامَةِ » (صحيح ابن ماجه : ٢٨٠٢) .

❦ عَنْ نَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يَا
نَافِعُ ، تَبَيَّعَ بِي الدَّمُ ، فَأَتَيْتَنِي بِحِجَامٍ وَاجْعَلْهُ شَابًّا ، وَلَا
تَجْعَلْهُ شَيْخًا وَلَا صَبِيًّا ، قَالَ : وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : سَمِعْتُ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « الْحِجَامَةُ عَلَى الرِّيقِ أَمْثَلُ ،
وَهِيَ تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ ، وَتَزِيدُ فِي الْحِفْظِ ، وَتَزِيدُ الْحَافِظَ
حِفْظًا ، فَمَنْ كَانَ مُخْتَجِمًا فَيَوْمَ الْخَمِيسِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ،
وَاجْتَنَبُوا الْحِجَامَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ السَّبْتِ وَيَوْمَ الْأَحَدِ ،
وَاجْتَنَبُوا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْثَلَاثَاءِ ، وَاجْتَنَبُوا الْحِجَامَةَ يَوْمَ
الْأَرْبَعَاءِ ؛ فَإِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي أُصِيبَ فِيهِ أَيُّوبُ بِالْبَلَاءِ ، وَمَا
يَبْدُو جُذَامٌ وَلَا بَرَصٌ إِلَّا فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ أَوْ لَيْلَةِ
الْأَرْبَعَاءِ » (حسن ، صحيح ابن ماجه : ٢٨١٠) .

(٧) الحبة السوداء

❦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
« مَا مِنْ دَاءٍ إِلَّا فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ مِنْهُ شِفَاءٌ إِلَّا السَّامُ » .
(البخاري : ٥٣٦٤ ، مسلم : ٢٢١٥) .

قال ابن شهاب رَحِمَهُ اللَّهُ : والسام : الموت ، والحبة
السوداء : الشونيز .

❦ عَنْ خَالِدِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجْنَا وَمَعَنَا غَالِبُ بْنُ أَبَجَرَ ، فَمَرِضَ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَقَادَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ فَقَالَ لَنَا : عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبِيبَةِ السُّودَاءِ ، فَخُذُوا مِنْهَا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا فَاسْحَقُوهَا ، ثُمَّ اقْطُرُوهَا فِي أَنْفِهِ بِقَطْرَاتِ زَيْتٍ فِي هَذَا الْجَانِبِ وَفِي هَذَا الْجَانِبِ ؛ فَإِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَنِي أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ السُّودَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا مِنَ السَّامِ» قُلْتُ : وَمَا السَّامُ ؟ قَالَ : الْمَوْتُ (البخاري : ٥٣٦٣) .

«الْحَبَّةُ السُّودَاءُ» : ما يطلق عليه الآن : حبة البركة ، وقيل : هو الكمون الأسود أو الهندي .

(٨) الماء

❦ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ؛ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ» (البخاري : ٣٠٨٨) .

(٩) العود الهندي

❁ عَنْ أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مَخْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ ؛ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ ، يُسْتَعَطُّ بِهِ مِنَ الْعُذْرَةِ ، وَيُلْدُّ بِهِ مِنَ ذَاتِ الْجَنْبِ» (البخاري : ٥٣٦٨ ، مسلم : ٢٢١٤) .

«العود الهندي» : خشب طيب الرائحة يؤتى به من الهند حارّ يابس قابض فيه مرارة يسيرة وقشره كأنه جلد موشى (مزخرف) .

«الْعُذْرَةُ» : وجع في الحلق يهيج منه الدم ، وقيل : قرحة تخرج بين الأنف والحلق ، ولعله ما يسمى الآن بالتهاب اللوزات .

«يُلْدُّ» : من اللدود وهو ما يصب في أحد جانبي الفم من الدواء .

«ذَاتِ الْجَنْبِ» : هو ورم الغشاء المستبطن للأضلاع ،

وقيل : هو التهاب غلاف الرئة ، فيحدث منه سعال وحمى ونخس في الجنب يزداد عند التنفس .

وَالْعُودُ يَخْبِسُ الْبَطْنَ ، وَيَقْوِي الْأَعْضَاءَ الْبَاطِنَةَ ، وَيَطْرُدُ الرِّيحَ ، وَيَفْتَحُ السُّدَدَ ، وَيُذْهِبُ فَضْلَ الرُّطُوبَةِ .

❦ وقال ﷺ : « إِنَّ أَمَثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ » وَقَالَ : « لَا تُعَذِّبُوا صِبْيَانَكُمْ بِالْعَمَزِ مِنَ الْعَذَرَةِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقُسْطِ » (البخاري : ٥٣١٧) .

« الْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ » : العود الهندي .

« بِالْعَمَزِ » : بالعصر برءوس الأصابع .

(١) التلبينة

❦ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ثُمَّ تَفَرَّقْنَ - إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا - أَمَرَتْ بِرُومَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ ، فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَتْ : كُلْنَ مِنْهَا ،

فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ ، تَذْهَبُ بِبَغْضِ الْحُزَنِ » .

(البخاري : ٥١٠١ ، مسلم : ٢٢١٦) .

« تَلْبِينَةٌ » : طعام رقيق يصنع من لبن ودقيق أو نخالة ، وربما جعل فيه عسل ، سميت تلبينة تشبيهاً باللبن لبياضها ورقتها .

« ثَرِيدٌ » : خبز يفتت ثم يبل بمرق .

« مُجِمَّةٌ » : أي تريح الفؤاد وتزيل عنه الهم وتنشطه .

(١١) التمر

❖ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً ؛ لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمْ وَلَا سِحْرٌ » .

(البخاري : ٥١٣٠ ، مسلم : ٢٠٤٧) .

❖ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ تَمَرَاتِكُمُ الْبَرْزِيُّ ؛

يُخْرِجُ الدَّاءَ وَلَا دَاءَ فِيهِ » (الصحيحة : ١٨٤٤) .

(١٢) الإثم (الكحل)

❦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ ، وَكَفُّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ ، وَإِنَّ خَيْرَ أَكْحَالِكُمْ الْإِثْمُ ؛ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ » .
(أبو داود : ٣٨٧٨ ، صحيح الجامع : ٣٣٠٥) .

(١٢) الحناء

❦ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ جَدِّهِ سَلَمَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَكَانَتْ تَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَتْ : مَا كَانَ يَكُونُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَرْحَةٌ وَلَا نَكْبَةٌ إِلَّا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَضَعَّ عَلَيْهَا الْحِنَاءَ .
(الترمذي : ٢٠٥٤ ، حسن ، صحيح الجامع : ٨٩٩١) .
وقال بعض العلماء : وَأَمَّا خَضْبُ الْيَدَيْنِ وَالرُّجُلَيْنِ فَلَا يَجُوزُ لِلرُّجَالِ إِلَّا فِي التَّدَاوِي .

(١٤) ألبان الإبل وأبوالها

❦ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمَ أَنَسٌ مِنْ عُكْلٍ أَوْ عُرَيْتَةٍ فَاجْتَوَوْا الْمَدِينَةَ ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِلِقَاحٍ ، وَأَنْ يَشْرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا ، فَانْطَلَقُوا ، فَلَمَّا صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِي النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَأْفُوا النَّعَمَ (البخاري : ٢٣١) .

(١٥) العجوة والكمأة

❦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «الْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ وَفِيهَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ ، وَالْكَمَاءُ مِنَ الْمَنْ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ» .

(الترمذي : ٢٠٦٦ ، صحيح الجامع : ٤١٢٦) .

«الْكَمَاءُ» : نوع من الدَّرَنِيَّاتِ والجذور التي لا ورق لها ولا ساق ، تخرج في الأرض بدون زرع ، وتكثر أيام الخصب وكثرة المطر والرعد ، وقيل : هو نبات يقال له أيضًا : شحم الأرض يوجد في الربيع تحت الأرض ،

وهو أصل مستدير كالقلقاس ، لا ساق له ولا عرق ،
لونه يميل إلى الغبرة ، وهو من النوادر .

«الْمَنُ» قيل : من جنس المن الذي نزل على
موسى عليه السلام وقومه ، وقيل : هو ما امتن الله به على
عباده بدون علاج فهو شبيه به ، وكونها من المن لأنها
تخرج بلا مؤونة ولا كلفة كما أن المن كذلك ، وقيل :
لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة .

«شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ» : هذا من طِبِّهِ ﷺ ، ونحن نؤمن
بذلك إيمان اليقين ، ولكن ينبغي الرجوع في ذلك إلى
ذوي الاختصاص المؤمنين ؛ لأن وصفه الطبيب لا يجوز
استعمال أي مريض لها بدون مراجعته ، بل الذي يقرره
الأطباء ضرورة رجوع المريض نفسه إلى الطبيب الذي
أعطاه الوصفة ؛ ليقرر له هل يناسب استعمالها الآن
مزاجه فيكررها أم لا .

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ : وقد رأيت أنا وغيري في زمننا من كان عمي وذهب بصره حقيقة ، فكحل عينه بماء الكمأة مجرداً ؛ فشفي وعاد إليه بصره ، وهو الشيخ العدل الأمين الكمال بن عبدالله الدمشقي صاحب صلاح ورواية للحديث ، وكان استعماله لماء الكمأة اعتقاداً في الحديث وتبركاً به ، والله أعلم .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءً ، أَوْ إِنَّهَا تَزِيْقُ أَوَّلَ الْبُكَرَةِ » .
(مسلم : ٢٠٤٨) .

« الْعَالِيَةِ » : ما كان من الحوائط والقرى والعمارات من جهة المدينة العليا مما يلي نجد ، والسافلة من الجهة الأخرى مما يلي تهامة ، قال القاضي : وأدنى العالية ثلاثة أميال وأبعدها ثمانية من المدينة ، والعجوة نوع جيد من التمر .

« أَوَّلَ الْبُكَرَةِ » : هو بمعنى : (من تَصَبَّحَ) .

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ : في هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها ، وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها .

(١١) شاة أعرابية أو كبش عربي

❦ قال أنس بن سيرين : إِنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « شِفَاءُ عِزْقِ النِّسَاءِ شَاةٌ أَعْرَابِيَّةٌ ، تُذَابُ ثُمَّ تُجَزَّأُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ ، ثُمَّ يُشْرَبُ عَلَى الرِّيقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءٌ » .

(ابن ماجه : ٣٤٦٣ ، صحيح ابن ماجه : ٢٧٨٨) .

❦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فِي عِزْقِ النِّسَاءِ يَأْخُذُ إِلَيَّ كَبْشٌ عَرَبِيٌّ لَيْسَتْ بِأَعْظَمَهَا وَلَا أَصْغَرَهَا ، فَيَتَقَطَّعُهَا صِغَارًا ، ثُمَّ يُذَيِّبُهَا فَيُجِيدُ إِذَا بَتَهَا ، وَيَجْعَلُهَا ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ ، فَيُشْرَبُ كُلُّ يَوْمٍ جُزْءًا عَلَى رِيقِ النَّفْسِ »

(المستدرک : ٣١٥٣ ، وقال : حديث صحيح) .

قال أنس بن سيرين : فلقد أمرت بذلك ناسًا - ذكر عددًا كثيرًا - كلهم يَبْرَأُ بإذن الله تعالى .

النَّسَا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ، ويقال :
العصب الوركى ، وهو عصب يمتد من الورك إلى الكعب .

(١٧) أَلْبَانِ الْبَقَرِ

❦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « تَدَاوُوا بِالْبَّانِ الْبَقَرِ ؛ فَإِنِّي
أَزْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهَا شِفَاءً ، فَإِنَّهَا تَأْكُلُ مِنَ الشَّجَرِ »
(حسن ، صحيح الجامع : ٢٩٢٩) .

(١٨) السَّعُوطِ

❦ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اخْتَجَمَ ،
وَأَعْطَى الْحَجَّامَ أَجْرَهُ ، وَاسْتَعَطَ .
(البخاري : ٥٣٦٧ ، مسلم : ١٢٠٢) .

« وَاسْتَعَطَ » : أَنِي إِسْتَعْمَلَ السَّعُوطَ ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَلْقِيَ
عَلَى ظَهْرِهِ ، وَيَجْعَلَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مَا يَرْفَعُهُمَا لِيَنْحَدِرَ رَأْسُهُ
وَيُقْطَرُ فِي أَنْفِهِ مَاءٌ أَوْ دُهْنٌ فِيهِ دَوَاءٌ مُفْرَدٌ أَوْ مُرَكَّبٌ ؛
لِيَتِمَّكَنَ بِذَلِكَ مِنَ الْوُضُوءِ إِلَى دِمَاغِهِ ؛ لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِيهِ
مِنَ الدَّاءِ بِالْعُطَاسِ .

(١٩) السِّنَا

❦ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «بِمَاذَا كُنْتَ تَسْتَشْفِينِ؟» قَالَتْ : بِالشُّبْرُمِ ، قَالَ : «حَارٌّ جَارٌّ» ، ثُمَّ اسْتَشْفَيْتُ بِالسِّنَا ، قَالَ : «لَوْ كَانَ شَيْءٌ يَشْفِي مِنَ الْمَوْتِ كَانَ السِّنَا ، أَوْ السِّنَا شِفَاءً مِنَ الْمَوْتِ» (المستدرک : ٧٤٤١ ، وقال : صحيح الإسناد ، وقال الذهبي في التلخيص : صحيح) .

«الشُّبْرُمُ» : حَبٌّ يُشَبِّهُ الْحِمَّصَ يُطْبَخُ وَيُشْرَبُ مَآؤُهُ لِلتَّدَاوِي ، وَقِيلَ : إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الشَّيْح .

❦ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عُبَلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا أَبِي بَنْ أُمِّ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «عَلَيْكُمْ بِالسِّنَى وَالسُّتُوتِ ؛ فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، إِلَّا السَّامَ» ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا السَّامُ؟ قَالَ : «الْمَوْتُ» (ابن ماجه : ٣٤٥٧ ، صحيح ابن ماجه : ٢٧٨٤) .

«السَّنَى وَالسَّنُوتِ» : السل أو الرب أو الكمون أو التمر أو الرازيانج أو الشبت وكل منهما نفعه عظيم ظاهر .

وقيل «السَّنَا» : نبات معروف من الأدوية له حمل إذا يبس وحركته الريح سمعت له زجلاً ، الواحدة سنة .
وقيل : نبات كأنه الحناء حبه مفرطح .

وقيل «السَّنُوتِ» : العسل ، وقال ابن أبي عبيدة رضي الله عنه السنوت : الشبت ، وقال آخرون : بل هو العسل الذي يكون في زقاق السمن ، والشبت : نبات كالشمرة يقال له : رز الدجاج .

الادوية المكروهة

(١) الكي

❦ قال رسول الله ﷺ في السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب : « هُم الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتُوُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » .

(البخاري : ٥٤٢٠ ، مسلم : ٢١٨) .

❦ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ الْكَيِّ ، قَالَ : فَايْتَلِينَا فَاكْتَوَيْنَا ؛ فَمَا أَفْلَحْنَا وَلَا أَنْجَحْنَا ، وَكَانَ يَسْمَعُ تَسْلِيمَ الْمَلَائِكَةِ ، فَلَمَّا اكْتَوَى انْقَطَعَ عَنْهُ ، فَلَمَّا تَرَكَ رَجَعَ إِلَيْهِ (صحيح ، أبي داود : ٣٨٦٥) .

❦ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ اكْتَوَى أَوْ اسْتَرْقَى فَقَدْ بَرِئَ مِنَ التَّوَكُّلِ » (الترمذي : ٢٠٥٥ ، الصحيحة : ٢٤٤) .

(٢) دواء غير ملائم للداء

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَدَدْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ ،

فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا أَنْ لَا تَلْدُونِي ، فَقُلْنَا : كَرَاهِيَّةُ الْمَرِيضِ
لِلدَّوَاءِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : « أَلَمْ أَنْهَكُمُ أَنْ تَلْدُونِي ؟ » قُلْنَا :
كَرَاهِيَّةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ ، فَقَالَ : « لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ
إِلَّا لُدَّ » وَأَنَا أَنْظُرُ ، « إِلَّا الْعَبَّاسُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ » .

(البخاري : ٤١٨٩) .

« لَدَدْنَاهُ » : أَيِ جَعَلْنَا فِي جَانِبِ فَمِهِ دَوَاءً بِغَيْرِ
إِخْتِيَارِهِ ، وَهَذَا هُوَ اللَّدُّودُ ، فَأَمَّا مَا يُصَبُّ فِي الْحَلْقِ
فَيُقَالُ لَهُ الْوُجُورُ ، وَمَا حَدَثَ أَنَّهُمْ أَذَابُوا قِسْطًا - أَيِ
بَزِيَّتٍ - قَلْدُوهُ بِهِ ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ التَّدَاوِي لِأَنَّهُ كَانَ غَيْرِ
مُلَائِمٍ لِذَائِهِ ؛ لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ بِهِ ذَاتَ الْجَنْبِ فَدَاوَوْهُ بِمَا
يُلَائِمُهَا ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ ذَلِكَ .

(٢) الضفدع

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُثْمَانَ أَنَّ طَبِيبًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ
عَنْ ضِفْدَعٍ يَجْعَلُهَا فِي دَوَاءٍ ؛ فَتَهَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قَتْلِهَا .

(أبي داود : ٣٨٧١ ، صحيح الترغيب والترهيب : ٢٩٩١) .

الأدوية المحرمة

عباد الله .. قال رسول الله ﷺ :

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَذْرُكُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» (الصحيحه : ٢٨٦٦) .

فلا يَحْمِلَنَّكُمْ اشتدادُ المرض وطولُ مدته على أن
تطلبوا الشفاء بالحرام ؛ فقد قال ﷺ : «مَنْ تَدَاوَى
بِحَرَامٍ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ شِفَاءً» (الصحيحه : ٢٨٨١) .

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلِ شِفَاءَكُمْ
فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ .

(١) الخمر

❦ عَنْ وَائِلِ الْحَضْرَمِيِّ رضي الله عنه أَنَّ طَارِقَ بْنَ سُوَيْدٍ
الْجُعْفِيَّ رضي الله عنه سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخَمْرِ ؛ فَنَهَاهُ أَوْ كَرِهَ
أَنْ يَصْنَعَهَا ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَصْنَعُهَا لِلدَّوَاءِ ، فَقَالَ ﷺ :

« إِنَّهُ لَيْسَ بِدَوَاءٍ ، وَلَكِنَّهُ دَاءٌ » (مسلم : ١٩٨٤) .

❦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ (صحيح الجامع : ٦٨٧٨) .

❦ عن أبي الأحوص رَحِمَهُ اللَّهُ : أن رجلاً أتى عبد الله فقال : إن أخي مريض اشتكى بطنه وأنه نعت له الخمر أفأسقيه ؟ قال عبد الله : سبحان الله ! ما جعل الله شفاء في رجز ؛ إنما الشفاء في شيئين : العسل شفاء للناس ، والقرآن شفاء لما في الصدور .

(٢) النشرة

وهي : ضربٌ من الرقية والعلاج ، يعالج به من كان يظن به مس الجن ، وقيل : هي فك السحر .

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النُّشْرَةِ ؛ فَقَالَ ﷺ : « هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ » .

(أبو داود : ٣٨٦٨ ، الصحيحة : ٢٧٦٠) .

أحكام المريض

اعلم - أخي الحبيب - علم اليقين أن ربك ﷻ
أرحم الراحمين ، وأنه ﷻ حكيمٌ عليم ، وأنه ﷻ
أعلم بالعبد ومصلحته من علم العبد بنفسه ، قال ﷻ :
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] .

ومن رحمته ﷻ وفضله ومنه وجوده ﷻ أن جعل
شريعة الإسلام مبنية على التيسير ، قال ﷻ : ﴿وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج : ٧٨] ، وقال ﷻ : ﴿يُرِيدُ
اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء : ٢٨] ،
وقد بُنيت أحكام الشريعة على أن المشقة تجلب التيسير ،
وعلى أن الضرورات تبيح المحظورات .

ولذلك - أخي المريض - أبشِرْ بفضل الله وبرحمته
وبعفوه وعافيته ؛ فأنت على دينٍ عظيم ، وتعبُدُ ربًّا كريمًا

أرحم بك من أمك ؛ بل أرحم بك من نفسك .

وإليك هذا الحديث ، ازرعه بين حنايا قلبك ،
وأحب به ربك ، وزد من رجائك له وتعلقك به وثقتك
في رحمته ، فهو من أجمل الأحاديث في الرجاء :

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ : قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
سَبِيٌّ ؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا تَسْقِي ؛ إِذَا
وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ ،
فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ : « أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ »
قُلْنَا : لَا ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ ، فَقَالَ : « اللَّهُ أَرْحَمُ
بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا » (البخاري : ٥٦٥٣ ، مسلم : ٢٧٥٤) .

وينبغي للعبد المحب لربه المخلص لدينه أن يتلقى
هذا التيسير بالشكر والقيام بحق الكريم ﷻ ؛ فإنما جاء
هذا التيسير لا لترك وتنقطع ؛ وإنما لتستمر في العبادة
وتجتهد ؛ فاحذر أن تشغل بالبلاء عن المبتلي ؛ وإنما
تقرب وتزلف إلى ربك بزيادة الجهد في العبادة قدر

استطاعتك ، واسأل الله أن يكون في عونك ، وأن يتقبل منك اليسير ويُثَبِّك عليه بالكثير .

ولكن ينبغي عليك - حبيبي - ألا تسارع في الأخذ بالرُّخص إذا كان في استطاعتك إتمام العزائم ، قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ » (صحيح ، ابن حبان : ٣٥٦٨) .

واليك تيسر الله في الأحكام:

أولاً: الوضوء:

من رحمة الله بعباده المرضى أن رَخَّصَ لهم إذا لم يستطيعوا الوضوء بأنفسهم ووجدوا من يعينهم على ذلك فعلوا ، فإذا كنت لا تستطيع الوضوء فاجعل زوجتك أو ابنك أو من يقوم على خدمتك بغسل أعضاء الوضوء لك .
فإن لم تستطع ولم تجد من يعينك على ذلك فتيم ، والتميم جائز لمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله ،

أو كان في استعمال الماء ضررٌ عليه أو تأخيرٌ لشفائه ،
قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ
مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ
النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ
حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦] .

والتيمم سهلٌ ويسير : تضرب يديك في حفنة تراب
طهور مباح غير محترق له غبار يعلق باليد ، أو حفنة
رمل ، ثم تمسح بهما وجهك ويديك .

فإذا لم تستطع أن تيمم نفسك ، فاجعل شخصًا ممن
حولك يُحضر لك حفنة رمل ، ويضرب يديه بها ،
ويمسح لك وجهك ويديك .

أهل الأعذار،

ولأهل الأعذار من أصحاب الأمراض المزمنة التي تسبب لهم حرجًا وتحيرًا في أمر الطهارة كأمراض : سلس البول ، ودوام خروج الريح ، وأصحاب العمليات الجراحية ، ومن اضطروا إلى تغيير مجرى البول أو الغائط ، أو من يدوم عندهم خروج النجاسات أيًا كانت ، أو مثل ذلك ؛ رُخِّصَ لهم جميعًا - عافاهم الله - في الوضوء لكل صلاة بعد دخول وقتها ، وإمكانية الصلاة بهذا الوضوء من النوافل ما شاءوا إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تليها ، فيتطهرون ويتوضأون وضوءًا جديدًا .

سبحان الله العظيم ! هل رأيت أوسع من كرم الله ؟ !
وهل بعد هذا من تيسير ؟ !



ثانيًا، الصلاة.

أخي الحبيب ، لا تترك الصلاة مهما كانت الظروف ؛
فالصلاة عماد الدين ، وهي الصلة الدائمة بين العبد وربه ،
وقد يسر الله لك أمر الصلاة بكل سبيل كي لا تتركها .

فمثلاً رخص لك الله ﷺ بمرضك ؛

① إمكانية ترك الجمعة والجماعة عند عدم القدرة
على النزول إلى المسجد ؛ لأن النبي ﷺ لما مرض
تخلف عن المسجد وقال : «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ
بِالنَّاسِ» (البخاري : ٦٣٣ ، مسلم : ٤١٨) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ولقد رأيتنا وما يتخلف عن
الصلاة إلا منافقٌ معلومُ النفاقِ أو مريضٌ .

ولكن إذا كنت تستطيع الخروج ؛ فالأولى عدم ترك
الجمعة والجماعة ؛ فثوابهما عظيم ، وصلاتهما في
المسجد فرض عين على كل مسلم .

٢) عدم استقبال القبلة لمن عجز عن ذلك : فيجب على كل مُصَلٍّ أن يستقبل القبلة بشرطين : القدرة ، والأمن ، فمن عجز عن استقبالها بمرضٍ ونحوه ولم يجد من يوجهه سقط استقبال القبلة عنه لمرضه وعجزه عن استقبالها ، ويصلي إلى الجهة التي يقدر عليها .

٣) إمكانية الصلاة وأنت جالس : يلزم المريض أن يصلي المكتوبة قائماً ولو مستنداً على حائط أو عصا ؛ قال رسول الله ﷺ : « إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » (البخاري : ٦٨٥٨ ، مسلم : ١٣٣٧) .

حاول . . قاوم ضعفك . . قف وكبر تكبيرة الإحرام ، فإذا وجدت في نفسك نشاطاً فأكمل ما استطعت من صلاتك واقفاً ، فإن لم تستطع فقاعداً .

وإذا كان مرضه سلس بولٍ مثلاً وعَلِمَ أنه لو صلى قائماً نزل منه البول وإذا صلى قاعداً بقي على طهارته ؛ فإنه يصلي قاعداً .

فإن لم تستطع أن تصلي قائمًا أو قاعدًا فعلى جنبك ؛
 لقوله ﷺ لعمران بن حصين : « صَلِّ قَائِمًا ، فَإِنْ لَمْ
 تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ » .

(البخاري : ١٠٦٦) .

والأفضل إذا لم تستطع القيام أو الجلوس أن تصلي
 مستلقيًا على ظهرك ورجلاك نحو القبلة ، وتنصب
 ركبتيك وترفع رأسك يسيرًا ليصير وجهك إلى القبلة ،
 ولك أن تصلي على جنبك الأيمن أو الأيسر ، والصلاة
 على الجنب الأيمن أفضل ، وتوميء بالركوع والسجود ،
 وتجعل السجود أخفض .

فإن عجزت عن كل ما سبق أوميء بطرفك (عينيك)
 واستحضر الفعل بقلبك ؛ فإن الصلاة لا تسقط عنك أبدًا
 مادام عقلك ثابتًا ؛ لقدرتك على الإيمان مع النية .

ومن فضل الله أنه بعد كل التيسيرات السابقة في
 إمكانية الصلاة على أي وضع يطيقه المريض ؛ أنه لا
 يَنْقُصُ أجر صلاتك إذا صليت على ما تطيقه .

ولكن - أَخِي - إذا كنت تصلي قاعدًا ووجدت القدرة على القيام لا تأخذ بالأسهل ؛ بل قم وأتمها واقفًا ، وكذلك في الصلاة على جنب إن قدرت على القعود فهو أولى .

نصيحة : إذا كنت تصلي قاعدًا أو راقدًا أو إيماءً فذلك لا يحمّلك أي مشقة ؛ فلماذا لا تكثر من النوافل تتقرب بها إلى ربك ؛ ليرضى عنك ويحبك ، قال تعالى في الحديث القدسي : «لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» (البخاري : ٦١٣٧) .

قُم الليل ، وأوتر في جوفه ، وقم بالأسحار ونادِ : يا عزيز يا غفار . . صلّ النوافل اليومية ، صلّ ركعات الضحى ، تقرب إلى ربك وتودّد إليه يقربك ويحبك .

وبرد هذا تساؤل : هل يجوز للمريض جمع الصلوات ؟ والإجابة : لا يجوز ذلك ، مهما كانت شدة مرضه ، والحل في هذه الحالة أن يقوم بجمع الصلوات جمعًا صوريًا ، أي يصلي الظهر في آخر وقته والعصر في أول

وقته ، ويصلي المغرب في آخر وقته والعشاء في أول وقته ، ولا يجوز له أكثر من ذلك على الإطلاق .

وهكذا لا تسقط الصلاة أبداً عن المريض ، ولا عن غيره ما دام يعقل وهو في وعيه ؛ فلا تترك الصلاة .

ثالثاً، الصيام،

إن شهر رمضان من أهم المواسم الإيمانية التي يجدها الله لعباده في كل عام ، فإذا أتى رمضان عليك وأنت مريض فقد رخص الله لك الفطر إن كنت لا تقوى على الصيام ، قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

وتأمل قول الله ﷻ : ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، فالصيام أولى إن كنت تقدر عليه ، والإنسان في حال مرضه لا تكون لديه شهية للطعام ، ويكون أكله لقيمات بسيطة في أول النهار وآخره ؛ فاطلب من معالجيك أن يضبطوا مواعيد الأدوية على الإفطار والسحور ؛ لتصوم هذه الأيام المباركة إن استطعت .

أمّا إذا لم تستطع الصيام ، أو كان الصوم يزيد مرضك أو يؤخر شفاءك فلا جناح عليك أن تفطر ، وعليك القضاء بأن تصوم الأيام التي أفطرتها فور استطاعتك ، فإن لم تستطع القضاء فعليك الكفارة ، وهي إطعام مسكين عن كل يوم أفطرته .

قال الفقهاء : وَيُبِيحُ الْفِطْرَ الْمَشَقَّةُ وَخَوْفُ زِيَادَةِ الْمَرَضِ أَوْ تَجَدُّدِهِ أَوْ طُولِ مُدَّتِهِ ، وَيُبِيحُهُ مَعَ ذَلِكَ الْحَاجَةُ إِلَى التَّدَاوِي إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِالْفِطْرِ وَخِيفَ مِنْ تَأْخِيرِهِ الْمَرَضُ أَوْ تَجَدُّدُهُ أَوْ طُولُ أَمْرِهِ أَوْ الْمَشَقَّةُ الشَّدِيدَةُ .

وبعد كل هذا ، هل لديك حُجَّة في التقصير في طاعة ربك ، الذي أغرقك في بحر كرمه وعفوه وتيسيره ومَنه ؟

رابعًا، الحج والعمرة،

الحج والعمرة من أجمل العبادات التي فرضها الله على عباده ، وموسمٌ عظيم يتجدد للقلب فيها إيمانه ، ويشعر المؤمن بمشاعر لا يستطيع لسانه وصفها ؛ بل هي حياة قلبه وزيادة يقينه وإيمانه .

وقد رخص الله ﷻ للمريض في الحج عدة أمور :

(١) التداوي في الحج

قال الله ﷻ : ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ

ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿البقرة: ١٩٦﴾ .

❦ عَنْ نُبَيْهِ بْنِ وَهَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِمَلَلِ اشْتَكَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَيْنِيهِ ، فَلَمَّا كُنَّا بِالرُّوحَاءِ اشْتَدَّ وَجَعُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ يَسْأَلُهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ اضْمِدْهُمَا بِالصَّبْرِ ؛ فَإِنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الرَّجُلِ إِذَا اشْتَكَى عَيْنِيهِ وَهُوَ مُحْرِمٌ ضَمَدَهُمَا بِالصَّبْرِ (مسلم : ١٢٠٤) .

والعمل على هذا عند أهل العلم ؛ لا يرون بأساً أن يتداوى المحرم بدواء ما لم يكن فيه طيب .

❦ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يَشْمُ الْمُحْرِمُ الرِّيحَانَ ، وَيَنْظُرُ فِي الْمِرَاةِ ، وَيَتَدَاوَى بِمَا يَأْكُلُ الزَّيْتِ وَالسَّمْنِ .

(٢) التحلل من الإحرام.

قال رسول الله ﷺ : «مَنْ كَسِرَ أَوْ عَرَجَ فَقَدْ حَلَّ ،

وَعَلَيْهِ الْحَجُّ مِنْ قَابِلٍ» (صحيح أبي داود : ١٦٤٠).

ومن حُبَسَ عن البيت أو حُصِرَ بمرضه أو مُنِعَ لأيِّ سببٍ من الأسباب ولو بعد الوقوف بعرفة ؛ ذبح هدياً بنية التحلل ، قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، فَإِنْ لم يجد صام عشرة أيام بالنية ، ولا يحل إلا بعد الصيام .

ومن حُصِرَ عن طواف الإفاضة فقط وقد رمى وحلق لم يتحلل حتى يطوف ؛ لأنه ليس له وقت ، فمتى طاف في أي وقت كان تحلل ، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : مَنْ حُبِسَ دون البيت بمرض ؛ فإنه لا يحل حتى يطوف بالبيت .

ويُستحب للمريض أن يشترط في بداية إحرامه فيقول : إِنْ محلي حيث حبستني ، أو يقول : إِنْ مرضت أو عجزت أو ذهبَتْ نفقتي فلي أن أحل ؛ كان له أن يتحلل متى شاء من غير شيءٍ ولا قضاء عليه .

أحكام التداوي من المرض

حبيبي يا سَلِيم ، والسليم تعني في اللغة : المريض ، نحن يا حبيبي عبيد ، والعبد لا يفعل أو يترك إلا بأمر سيده ، فبعد أن تيقنا في كل المراحل السابقة وأكدنا على فضل المرض وعظمة أجر الصبر ، وأن المرض والبلاء قَدَرٌ من قَدَرِ الله ، وهو رحمة ، وأن الشافي هو الله ، وأن الشفاء منه بقَدَرٍ يأتي بإذنه وفي أوانه .

بعد كل ذلك هل يجوز لنا أن نذهب إلى الأطباء والمستشفيات ، وأن نتناول الأدوية ونجري العمليات ؟ لابد أن نعرف الحكم الشرعي في هذه المسألة .

ومسألة التداوي تدور عليها الأحكام الخمسة : الوجوب والحرمة ، والاستحباب والكراهة والإباحة ، فتعال معي لننظر معاً في أقوال العلماء ، فيستقر الأمر بيننا على ما يرضي الله ﷻ ، أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما

يحبّه ويرضاه ، وأن يجعل عملنا في رضاه .

مذاهب العلماء في مسألة التداوي

(١) القول الأول، الوجوب

ذكر في المقنع أن بعض الحنابلة ذهبوا إلى وجوب التداوي ولم يُسمّهم .

أدلة وجوب التداوي:

① عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (مسلم : ٢٢٠٤) .

② وَقَالَ أُسَامَةُ بْنُ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتَدَاوِي ؟ فَقَالَ ﷺ : «تَدَاوُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ

دَاءٌ إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً ، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ : الْهَرَمُ .

(ابن ماجه : ٣٤٣٦ ، صحيح ابن ماجه : ٢٧٧٢) .

③ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً » (البخاري : ٥٣٥٤) .

④ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً ، فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ » (حسن ، الصحيحة : ١٦٣٣) .

⑤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الشِّفَاءَ » .

(المستدرک : ٧٤٣٣ ، صحيح الجامع : ٢٥٦٨) .

وفي قوله ﷺ : « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ » تقويةً لنفس المريض والطبيب ، وحثٌّ على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه ؛ فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواءً يزيله ؛ تعلق قلبه بروح الرجاء ، وبردت عنده حرارة اليأس ، وانفتح له باب الرجاء .

ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية ، ومتى قويت هذه الحرارة قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته .

وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواءً ؛ أمكنه طلبه والتفتيش عليه .

وأمرض الأبدان على وزن أمراض القلوب ، وما جعل الله للقلب مرضاً إلا جعل له شفاء بضده ؛ فإن علمه صاحب الداء واستعمله وصادف داء قلبه ؛ أبرأه بإذن الله تعالى .

وقد جعل الله يُخَوِّضُ لكل داءٍ دواءً ، ويسر الوصول إلى ذلك الدواء شرعاً وقدرًا ، فمن أراد التداوي بما شرعه الله له واستعان عليه بالقدر وأتى الأمر من بابه صادف الشفاء إن شاء الله تعالى .

ومن طلب الدواء بما منعه منه شرعاً وإن امتحنه به قدرًا ؛ فقد أخطأ طريق المداواة ، وكان كالمُتداوي من داء بداء أعظم منه .

(٢) القول الثاني: النذب

❦ قال الشربيني رَحِمَهُ اللهُ فِي الْإِقْنَاعِ - وهو شافعي - :
(وَيْسَنُ التَّدَاوِي لَخْبَرٍ : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا جَعَلَ لَهُ
دَوَاءً ، إِلَّا الْهَرَمَ » ، قَالَ فِي الْمَجْمُوعِ : فَإِنْ تَرَكَ التَّدَاوِي
تَوَكَّلًا عَلَى اللَّهِ فَهُوَ أَفْضَلُ) (٢٠٩ / ١) .

❦ وَقَالَ فِي مَغْنِي الْمَحْتَاجِ : (وَيْسَنُ لِلْمَرِيضِ
التَّدَاوِي) (٣٥٧ / ١) .

❦ وَقَالَ الْبَجِيرَمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَاشِيَتِهِ - شَافِعِي - :
(التَّدَاوِي أَفْضَلُ لِمَنْ كَانَ فِي شِفَائِهِ نَفْعٌ عَامٌّ لِلْمُسْلِمِينَ ،
أَوْ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ التَّضَجُّرِ بِدَوَامِ الْمَرَضِ ، وَإِنْ تَرَكَهُ
تَوَكَّلًا كَانَ أَفْضَلَ ؛ حَيْثُ انْتَفَى ذَلِكَ وَرَزَقَ الرِّضَا بِهِ .

❦ وَأَفْتَى النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ - إِمَامُ الشَّافِعِيَّةِ - بِأَنْ مِنْ
قَوِي تَوَكُّلِهِ ؛ فَالْتَّكُّ لَهُ أَوْلَى ، وَمَنْ ضَعْفَ يَقِينُهُ وَقَلَّ
صَبْرُهُ ؛ فَالْمَدَاوَاةُ لَهُ أَفْضَلُ (٤٤٨ / ١) .

❦ وقال رَحِمَهُ اللهُ في روضة الطالبين : (ويستحب له الصبر على المرض ، وترك الأنين ما أطاق ، ويستحب التداوي) (٩٦/٢) .

❦ وقال أيضاً في المجموع رَحِمَهُ اللهُ : (قال أصحابنا وغيرهم : يستحب للمريض ومن به سقم وغيره من عوارض الأبدان أن يصبر ، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة على فضل الصبر ، وقد جمعتُ جملةً من ذلك في باب الصبر في أول كتاب رياض الصالحين ، ويكفي في فضيلته قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] ، ويستحب التداوي لما ذكره المصنف مع غيره من الأحاديث المشهورة في التداوي ، وإن ترك التداوي توكلًا فهو فضيلة) (٩٦/٥) .

❦ وقد بوب أيضاً الإمام مسلم في صحيحه : باب لكل داء دواء واستحباب التداوي (١٧٢٩/٤) .

(٢) القول الثالث، الإباحة

❦ وهو مذهب الحنابلة ، قال ابن مفلح في المبدع :
(التداوي مباح وتركه أفضل ، نص عليه واختاره القاضي
وجماعة) ، وبه قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ ، وهو قول
الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ .

❦ وقال في الفروع : (ترك الدواء أفضل ، نص عليه ،
واختاره القاضي وأبو الوفاء وابن الجوزي وغيرهم) .

❦ وقال البُهوتي رَحِمَهُ اللهُ في الرُّوض المُرْبِع : (وبإباح
التداوي بمباح وتركه أفضل) (٣٢١/١) .

❦ وقال رَحِمَهُ اللهُ في كشف القناع : (ترك الدواء
أفضل ، نص عليه ؛ لأنه أقرب إلى التوكل ، واختار
القاضي وأبو الوفاء وابن الجوزي وغيرهم فعله ؛ لأكثر
الأحاديث ، ولا يجب التداوي ولو ظن نفعه ؛ لكن
يجوز اتفاقاً ولا ينافي التوكل) (٧٦/٢) .

❦ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : وليس
التداوي بضرورة ؛ لوجوه :

أحدها : أنَّ كثيرًا من المرضى أو أكثر المرضى
يشفون بلا تداوٍ ، لا سيَّما في أهل الوبَر والقُرَى
والساكنين في نواحي الأرض ، يشفيهم الله بما خلق
فيهم من القوى المطبوعة في أبدانهم الرافعة للمرض ،
وفيما ييسره لهم من نوع حركة وعمل أو دعوة مستجابة
أو رقية نافعة أو قوة للقلب وحسن التوكل ، وذلك كله
من أسباب الدواء .

وأما الأكل فهو ضروري ، ولم يجعل الله أبدان
الحيوان تقوم إلا بالغذاء ، فلو لم يكن يأكل لمات ؛
فثبت بهذا أن التداوي ليس من الضرورة في شيء .

ثم قال : ومن نازع فيه خَصَمَتُهُ السُّنَّة في المرأة
السوداء التي خَيْرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بين الصبر على البلاء
ودخول الجنة وبين الدعاء بالعافية ؛ فاختارت البلاء

والجنة ، ولو كان دَفَعُ المرضِ واجبًا لم يكن للتخير موضع كدفع الجوع ، وفي دعائه لأبيّ بالحُمَى ، وفي اختياره الحُمَى لأهل قباء ، وفي دعائه بفناء أُمته بالطعن والطاعون ، وفي نهيه عن الفرار من الطاعون ، وَخَضُمُهُ حالَ أنبياء الله المبتلين الصابرين على البلاء حين لم يتعاطوا الأسباب الدافعة له مثل أيوب عليه السلام وغيره .

وَخَضُمُهُ حالُ السلف الصالح عليه السلام ؛ فإن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين قالوا له : ألا ندعو لك الطبيب؟ قال : قد رأيته ، قالوا : فما قال لك؟ قال : «إني فعلاً لما أريد» .

ومثل هذا ونحوه يروى عن الربيع بن خثيم المخبت المنيب الذي هو أفضل الكوفيين أو كأفضلهم ، وعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الهادي المهدي وخلق كثير لا يحصون عددًا ، ولست أعلم سالفًا أوجب التداوي ؛ وإنما كان كثيرٌ من أهل الفضل والمعرفة يفضل تركه

تفضلاً واختياراً لما اختار الله ورضي به ، وتسليماً له ، وهذا المنصوصُ عن أحمد ، وإن كان من أصحابه من يوجبُه ومنهم من يستحبُه ويرجحُه كطريقة كثير من السلف استمساكاً لما خلقه الله من الأسباب وجعله من سنته في عباده (مجموع الفتاوى ٢١/٥٦٣ ، ٥٦٤) .

❦ قال العبدري - مالكي - في التاج والإكليل :
(التداوي جائز) (٢/٦) .

❦ قال النفراوي المالكي في الفواكه الدواني : (وجواز التداوي لا ينافي التوكل والاعتماد على الله على القول المعتمد من قول الخوفية وغيرهم ؛ فقد كان النبي ﷺ يتعاطى أسباب التداوي مع أنه أعظم المتوكلين على الله سبحانه وتعالى) (٢/٢٩٤) ، ثم قال : (لما في الصحيح من قوله : (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً) ؛ فإنزال الدواء أمانة جواز التداوي) (الفواكه ٢/٣٣٩) .

❦ وقال الشوكاني في الدراري المضية : (التفويض

أفضل مع الاقتدار على الصبر كما يفيد قوله : « إِنَّ شِئْتَ صَبَرْتَ » ، وأما مع عدم الصبر على المرض وصدور الحرج والحرْد وضيق الصدر من المرض ؛ فالتداوي أفضل ؛ لأن فضيلة التفويض قد ذهبت بعدم الصبر (٣٩٣ / ١) .

❦ وقال في الأدلة الرضية : (يجوز التداوي ، والتفويض أفضل لمن يقدر على الصبر) (٢٦٧ / ١) .

❦ قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي حَدِيثٍ جَرَحَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أَحَدٍ : (وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ التَّدَاوِي ، وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ يَصَابُونَ بِبَعْضِ الْعَوَارِضِ الدُّنْيَوِيَّةِ مِنَ الْجَرَاحَاتِ وَالْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ ؛ لِيُعْظَمَ لَهُمْ بِذَلِكَ الْأَجْرُ ، وَتَزْدَادَ دَرَجَاتُهُمْ رَفْعَةً ، وَلِيَتَأَسَّى بِهِمْ أَتْبَاعُهُمْ) (الفتح ٣٧٣ / ٧) .

❦ وقال في شرح حديث المرأة السوداء : (وفي الحديث فضل من يصرع ، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة ، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة ، وفيه دليل على جواز ترك التداوي ، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير) (الفتح ١٠ / ١١٥) .

مسألة: هل يجوز ترك التداوي؟

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : جَاءَتْ إِمْرَأَةً بِهَا لَمَمٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : أَدْعُ اللَّهَ ، فَقَالَ : «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَا حِسَابَ عَلَيْكَ» ، قَالَتْ : بَلْ أَصْبِرُ وَلَا حِسَابَ عَلَيَّ .

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله : وَفِي الْحَدِيثِ فَضْلُ مَنْ يُصْرَعُ ، وَأَنَّ الصَّبْرَ عَلَى بَلَايَا الدُّنْيَا يُورِثُ الْجَنَّةَ ، وَأَنَّ الْأَخْذَ بِالشَّدَةِ أَفْضَلُ مِنَ الْأَخْذِ بِالرُّخْصَةِ لِمَنْ عِلْمٌ

مِنْ نَفْسِهِ الطَّاقَةَ وَلَمْ يَضْعُفْ عَنِ التَّزَامِ الشَّدَّةَ ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَرْكِ التَّدَاوِي .

وَفِيهِ أَنَّ عِلَاجَ الْأَمْرَاضِ كُلِّهَا بِالِدُّعَاءِ ، وَالِإِلْتِجَاءِ إِلَى اللَّهِ أَنْجَعُ وَأَنْفَعُ مِنَ الْعِلَاجِ بِالْعَقَاقِيرِ ، وَأَنَّ تَأْثِيرَ ذَلِكَ وَانْفِعَالَ الْبَدَنِ عَنْهُ أَكْثَرُ مِنْ تَأْثِيرِ الْأَدْوِيَةِ الْبَدَنِيَّةِ ؛ وَلَكِنْ إِنَّمَا يَنْجَعُ بِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : مِنْ جِهَةِ الْعَلِيلِ ، وَهُوَ صِدْقُ الْقَضْدِ .

وَالْآخَرُ : مِنْ جِهَةِ الْمُدَاوِي ، وَهُوَ قُوَّةُ تَوَجُّهِهِ وَقُوَّةُ قَلْبِهِ بِالتَّقْوَى وَالتَّوَكُّلِ (الرح : ١٠ / ١١٥) .

(٤) القول الرابع، الكراهة

❦ قال أبو الطيب رحمه الله في عون المعبود في شرح حديث السبعين ألفاً عند قوله ﷺ : « لَا يَسْتَرْقُونَ » : (وقال الخطابي : في هذا الحديث إثبات أن التداوي مكروه) (٢٤٠ / ١٠) .

❦ قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح مسلم بعد حديث السبعين ألفاً : (اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ؛ فقال الإمام أبو عبد الله المازري : احتج بعض الناس بهذا الحديث على أن التداوي مكروه) (٣ / ٩٠) .

(٥) القول الخامس، الحرمة

بَوَّبَ الإمام البيهقي في سننه الكبرى : باب النهي عن التداوي ، ثم ذكر حديث التداوي بالخمير (١٠ / ٤) .
وذهب إلى الحرمة أيضاً بعض الصوفية الذين يعتبرون التداوي منافياً للتوكل والرضى وكلاهما من شروط الولاية .



الخلاصة

يظهر مما سبق أن التداوي مختلفٌ فيه على أقوالٍ خمسة هي : (الوجوب ، والندب ، والإباحة ، والكراهة ، والحرمة) ، ويكون الترجيح بين هذه الأقوال بالآتي :

(١) بطلان القول بالحرمة والكراهة

وذلك لأن النبي ﷺ قد أمر بالتداوي في قوله : «تَدَاوُوا عِبَادَ اللَّهِ»، والنبي ﷺ لا يأمر بحرام ولا مكروه ، وهذا بغير خلاف ؛ فدل ذلك على سقوط هذين القولين وعدم حجيتهما .

(٢) يُبعد القول بالوجوب

وذلك لحديث المرأة السوداء ؛ ففيه أن النبي ﷺ قد خيّرَها بين التداوي وبين الصبر ، ولو كان التداوي واجباً لما جاز فيه التخيير ولألزمها به .

وفيه أنه رتب على تركها للتداوي أجراً ، فقال : « إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ » ، ولا يترتب على ترك الواجب أجر .

الأدلة الصارفة عن الوجوب :

① قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : « عَرِضْتُ عَلَى الْأُمَمِ ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفُقَ ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي ، فَقِيلَ : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انْظُرْ ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفُقَ ، فَقِيلَ لِي : انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأَفُقَ ، فَقِيلَ : هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : أَمَا نَحْنُ قَوْلُذُنَا فِي الشَّرِكِ ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ أَبْنَاؤُنَا ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ

فَقَالَ : « هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَهَّرُونَ ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ ، وَلَا يَكْتُمُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مَخْصَنٍ فَقَالَ : أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ : أَمِنْهُمْ أَنَا ؟ فَقَالَ : « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ » .

(البخاري : ٥٤٢٠ ، مسلم : ٢١٨) .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ السَّبْعِينَ أَلْفًا ، اللَّهُمَّ أَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا سَابِقَةَ عَذَابٍ ، بَيَّنَّ لَكَ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا هُمُ الَّذِينَ « لَا يَتَطَهَّرُونَ » أَي : لَا يَتَشَاءَمُونَ ، « وَلَا يَسْتَرْقُونَ » أَي : لَا يَطْلُبُونَ مِنْ أَحَدٍ أَنْ يَرْقِيَهُمْ ، فَمَعْنَاهَا : تَرَكَ طَلِبَ الدَّوَاءِ مطلقًا ، وَهَذِهِ دَرَجَةٌ عَظِيمَةٌ تَرْقُؤًا بِسَبِيحِهَا إِلَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ الَّتِي هِيَ مَخْصُوصَةٌ لِهَذِهِ الْفِتَّةِ الْقَلِيلَةِ مِنَ النَّاسِ وَسَطَ هَذَا الْكَمِّ الْهَائِلِ مِنَ الْبَشَرِ ، وَمَهْمَا جَرَتْ مِنْ مَنَاقِشَاتٍ وَمَحَاوِرَاتٍ ؛ فَهِيَ دَرَجَةٌ عَالِيَةٌ لِلْأَنْسِ مَخْصُوصِينَ ، وَلِكُلِّ سَلْعَةٍ ثَمَنٌ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ .

② عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَلَا أَرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْتُ :

بَلَى ، قَالَ : هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ :
 إِنِّي أَضْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي ، قَالَ : « إِنْ شِئْتَ
 صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ »
 فَقَالَتْ : أَضْبِرْ ، فَقَالَتْ : إِنِّي أَتَكَشَّفُ ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ
 لَا أَتَكَشَّفَ ، فَدَعَا لَهَا (البخاري : ٥٣٢٨ ، مسلم : ٢٥٧٦) .
 وقد سبق معنا التعليق على هذا الحديث .

(٢) فيبقى القول بالندب والقول بالإباحة

وعليهما يدور كلام الجمهور ، فأما القول بالندب
 فلأن حديث المرأة السوداء صرف الأمر في حديث
 «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ» من الوجوب إلى الندب ؛ ولكن
 يجاب على ذلك بأن النبي ﷺ رتب الأجر للمرأة
 السوداء على تركها التداوي ولا يترتب الأجر على ترك
 المندوب ، فلو كان التداوي مندوباً لكان تركه مكروهاً .

(٤) فلا يبقى إلا القول بالإباحة

وهو الذي يجمع الأدلة كلها بلا نقصان ، وهو مذهب

الحنفية والمالكية والحنابلة ، وأكثر العلماء قاطبة .

فالتداوي إذا مباح ، وترك المباح مباح ؛ فبذلك نُعمل حديث المرأة السوداء لأنها فعلت مباحاً وهو ترك التداوي ، ومع النية الصالحة والاحتساب تؤجر ، ونُعمل أحاديث تداوي النبي ﷺ ؛ إذ إن النبي يفعل المباح .

فإن قيل : كيف نخرج من حديث «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ» ومعلوم أن أقل درجات الأمر الندب ؟

نقول : إن الأمر بالتداوي هنا لم يخرج للتشريع ، وإنما خرج لإقرار عادة الناس ، فعادة الناس التداوي ، وبمراجعة سياق الحديث تجد أن الأعراب جاءوا يسألون النبي ﷺ عن التداوي : أفنتداوي يا رسول الله ؟ كأنهم ظنوا أن التداوي يتناقض مع الشرع ؛ فقال لهم النبي ﷺ : «نَعَمْ» ، ثم بين لهم عدم مخالفة التداوي للتوكل فقال : «فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً» ، وفي رواية قال : «نَعَمْ تَدَاوَوْا» ، أي على عادتكُم ، فلم يأت في الشرع شيء على خلاف عادتكُم

في هذه المسألة ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ [الأعراف: ٣١] ، فإن الأمر بالأكل والشرب ليس للوجوب ؛ وإنما لإقرار عادة الناس من الأكل والشرب ، ومثل قوله : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

وبذلك يكون التداوي مباحاً ، فمن تداوى فلا إثم عليه ، ولو حسن النية في تداوية من العزم على إكمال الطاعة والنشاط في العبادة والقيام بما أوجبه الله عليه من الحقوق ؛ أُجِرَ على تداويه ، وإن ترك التداوي صبراً ورضاً بقدر الله أُجِرَ على تركه للتداوي كذلك ، والله أعلم .

وللأهمية راجع كلام العلماء ابن حجر والنووي فيما سبق ؛ من اشتراط الرضا والصبر وعدم التضجر من المرض لمن أراد أن يترك التداوي .

أما من لم يستطع تحقيق الرضا والانشراح والفرح بقدر الله ؛ فعليه أن يتداوى لدفع الحرج والضيق من صدره ، ويكون التداوي في حقه أفضل .

مسألة : لا عدوى

❦ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا عَدَوِي وَلَا صَفَرٌ وَلَا هَامَةٌ » ، فَقَالَ أَغْرَابِيُّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا بَالُ إِبِلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الطُّبَاءُ فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا ؟ فَقَالَ : « فَمَنْ أَغْدَى الْأَوَّلَ ؟ » .

(البخاري : ٥٣٨٧ ، مسلم : ٢٢٢٠) .

❦ وَقَالَ ﷺ : « لَا عَدَوِي وَلَا طِيرَةٌ » .

(البخاري : ٥٤٢١ ، مسلم : ٢٢٢٥) .

❦ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا عَدَوِي وَلَا طِيرَةٌ ، وَيُغْجِبُنِي الْقَالُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ » .

(البخاري : ٥٤٢٤ ، مسلم : ٢٢٢٤) .

❦ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا عَدَوِي » ، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا تُورِدُوا الْمُمْرِضَ عَلَى الْمَصِحِ » (البخاري : ٥٤٣٩ ، مسلم : ٢٢٢١) .

❁ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَنْ يَدْعَهُنَّ النَّاسُ ؛ النِّيَاحَةُ ، وَالطَّنَنُ فِي الْأَخْسَابِ ، وَالْعَدْوَى أَجْرَبَ بَعِيرٍ فَأَجْرَبَ مِائَةَ بَعِيرٍ مَنْ أَجْرَبَ الْبَعِيرَ الْأَوَّلَ ، وَالْأَتَوَاءُ مُطَرَّنًا بِنَوءٍ كَذَا وَكَذَا » (حسن ، الصحيحة : ٧٣٥) .

قَوْلُهُ ﷺ : « لَا عَدْوَى » مَعْنَاهُ : لَا يُغْدِي شَيْءٌ شَيْئًا .

وَهَذَا مِنْ أَتَيْنِ طُرُقِ الْحِجَاجِ وَالْإِزْشَادِ إِلَى الصُّوَابِ وَإِضَاحِ وَجْهِ الْحَقِّ ؛ لِأَنَّ الْأَعْرَابِيَّ دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ بِأَنَّ الْإِبِلَ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ وَهُوَ مَوْضِعٌ صَالِحٌ لَيْسَ فِيهِ مَا يُمْرِضُهَا فَتَكُونُ فِيهِ كَالطَّبَّاءِ حُسْنًا وَسَلَامَةً مِنَ الْجَرَبِ وَغَيْرِهِ ، فَيَأْتِي بَعِيرُ أَجْرَبٍ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيَشْمَلُهَا الْجَرَبُ ، فَاعْتَقَدَ الْأَعْرَابِيُّ أَنَّ ذَلِكَ الْبَعِيرَ قَدْ أَغْدَاهَا

جَرَبُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : لَوْ كَانَ الْجَرَبُ بِالْعَذْوَى
لَا مَمْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلُ جَرَبًا ؛ وَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونَ هَذَا
الدَّاءُ لِحَقِّ الْأَوَّلِ مِنْ غَيْرِ عَذْوَى وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ ؛
فَإِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مَا شَمِلَ الْإِبِلَ أَيْضًا مِنَ الْجَرَبِ
مِنْ فِعْلِ اللَّهِ ، فَلَا مَعْنَى لِإِعْتِقَادِ الْعَذْوَى ؛ فَالْوَاجِبُ أَنْ
يَعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا خَالِقَ
سِوَاهُ ، وَإِنْ جَازَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي بَعْضِ الْأَشْخَاصِ ابْتِدَاءً
وَفِي بَعْضِهَا عِنْدَ مُجَاوَرَةِ الْجَرَبِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

أَمَّا حَدِيثُ « لَا تُورِدُوا الْمُمْرِضَ عَلَى الْمُصِحِّ » فَأُزِيدُ
فِيهِ إِلَى مُجَانِبَةِ مَا يَخْصُلُ الضَّرَرُ عِنْدَهُ فِي الْعَادَةِ بِفِعْلِ اللَّهِ
تَعَالَى وَقَدَرِهِ ، فَتَنَفَى فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ الْعَذْوَى بِطَبْعِهَا ،
وَلَمْ يَنْفِ حُصُولَ الضَّرَرِ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى
وَفِعْلِهِ ، وَأُزِيدُ فِي الثَّانِي إِلَى الْإِخْتِرَازِ مِمَّا يَخْصُلُ عِنْدَهُ
الضَّرَرُ بِفِعْلِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدَرِهِ .

وَأَمَّا حَدِيثُ النَّبِيِّ ﷺ : « وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ
مِنَ الْأَسَدِ » (البخاري : ٥٣٨٠) ؛ فَقَدْ قَالَ فِيهِ عِيسَى بْنُ دِينَارٍ

مِنَ الْمَالِكِيَّةِ : وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ وَيَتَعَيَّنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ حَمْلُ الْأَمْرِ بِاجْتِنَابِهِ ، وَالْفِرَارُ مِنْهُ عَلَى الْإِسْتِحْبَابِ وَالِاخْتِيَاظِ ، وَالْأَكْلُ مَعَهُ عَلَى بَيَانِ الْجَوَازِ .

وللعلماء مسالك متعددة في الجمع بين حديث « لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَةَ » وحديث « وَفَرَّ مِنَ الْمَجْدُومِ كَمَا تَفَرَّ مِنَ الْأَسَدِ » فمن ذلك :

المسلك الأول : نفى العذوى جملةً ، وحمل الأمر بالفِرَارِ مِنَ الْمَجْدُومِ عَلَى رِعَايَةِ خَاطِرِ الْمَجْدُومِ ، لِأَنَّهُ إِذَا رَأَى الصَّحِيحَ الْبَدَنَ السَّلِيمَ مِنَ الْآفَةِ تَعْظُمُ مُصِيبَتُهُ وَتَزْدَادُ حَسْرَتُهُ .

المسلك الثاني : حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين ؛ فَحَيْثُ جَاءَ « لَا عَذْوَى » كَانَ الْمُخَاطَبُ بِذَلِكَ مَنْ قَوِيَ يَقِينُهُ وَصَحَّ تَوَكُّلُهُ بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ إِغْتِقَادَ الْعَذْوَى ، كَمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ التَّطِيرَ الَّذِي يَقَعُ فِي نَفْسِ كُلِّ أَحَدٍ ؛ لَكِنَّ الْقَوِيَّ

الْيَقِينِ لَا يَتَأَثَّرُ بِهِ ، وَهَذَا مِثْلُ مَا تَدْفَعُ قُوَّةُ الطَّبِيعَةِ الْعِلَّةَ فَتُبْطِلُهَا ، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ حَدِيثُ جَابِرٍ فِي أَكْلِهِ ﷺ مع الْمَجْذُومِ مِنَ الْقَضْعَةِ وَسَائِرِ مَا وَرَدَ مِنْ جَنْسِهِ ، وَحَيْثُ جَاءَ « فِرٌّ مِنَ الْمَجْذُومِ » كَانَ الْمُخَاطَبُ بِذَلِكَ مَنْ ضَعْفَ يَقِينِهِ ، وَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ تَمَامِ التَّوَكُّلِ فَلَا يَكُونُ لَهُ قُوَّةٌ عَلَى دَفْعِ إِعْتِقَادِ الْعَدَوَى ، فَأَرِيدَ بِذَلِكَ سَدُّ بَابِ إِعْتِقَادِ الْعَدَوَى عَنْهُ بِأَنْ لَا يُبَاشِرَ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِإِثْبَاتِهَا .

ثَالِثُ الْمَسَالِكِ : قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ : إِبْتِاتِ

الْعَدَوَى فِي الْجُذَامِ وَنَحْوِهِ مَخْصُوصٌ مِنْ عُمُومِ نَفْيِ الْعَدَوَى ، قَالَ : فَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ : « لَا عَدَوَى » أَيْ إِلَّا مِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْجَرَبِ مَثَلًا ، قَالَ : فَكَأَنَّهُ قَالَ : لَا يُعْدِي شَيْءٌ شَيْئًا إِلَّا مَا تَقَدَّمَ تَبْيِيْنُهُ لَهُ أَنَّ فِيهِ الْعَدَوَى ، وَقَدْ حَكَى ذَلِكَ ابْنُ بَطَّالٍ .

رَابِعُهَا : أَنَّ الْأَمْرَ بِالْفِرَارِ مِنَ الْمَجْذُومِ لَيْسَ مِنْ بَابِ

الْعَدَوَى فِي شَيْءٍ ؛ بَلْ هُوَ لِأَمْرِ طَبِيعِي وَهُوَ ائْتِقَالُ الدَّاءِ مِنَ

جَسَدٍ لِّجَسَدٍ بِوَاسِطَةِ الْمَلَامَسَةِ وَالْمُخَالَطَةِ وَشَمِّ الرَّائِحَةِ .

المَسْلَكُ الْخَامِسُ : أَنَّ الْمُرَادَ بِنَفْيِ الْعَدْوَى أَنَّ شَيْئًا لَا يُغْدِي بِطَبْعِهِ ؛ نَفْيًا لِمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْتَقِدُهُ أَنَّ الْأَمْرَاضَ تُغْدِي بِطَبْعِهَا مِنْ غَيْرِ إِضَافَةٍ إِلَى اللَّهِ ؛ فَأَبْطَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِعْتِقَادَهُمْ ذَلِكَ وَأَكَلَ مَعَ الْمَجْذُومِ ؛ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُمْرِضُ وَيَشْفِي ، وَنَهَاَهُمْ عَنِ الدُّنُوِّ مِنْهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ بِأَنَّهَا تُفْضِي إِلَى مُسَبِّبَاتِهَا ، فَفِي نَهْيِهِ إِثْبَاتِ الْأَسْبَابِ ، وَفِي فِعْلِهِ إِشَارَةَ إِلَى أَنَّهَا لَا تَسْتَقِلُّ ، بَلْ اللَّهُ هُوَ الَّذِي إِنْ شَاءَ سَلَبَهَا قُوَاهَا فَلَا تُؤَثِّرُ شَيْئًا ، وَإِنْ شَاءَ أَبْقَاهَا فَأَثَّرَتْ .

المَسْلَكُ السَّادِسُ : الْعَمَلُ بِنَفْيِ الْعَدْوَى أَضْلًا وَرَأْسًا ، وَحَمَلَ الْأَمْرَ بِالْمُجَانِبَةِ عَلَى حَسْمِ الْمَادَّةِ وَسَدِّ الدَّرِيعَةِ ؛ لِئَلَّا يَخْذُثَ لِلْمُخَالِطِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَيَظُنَّ أَنَّهُ بِسَبَبِ الْمُخَالَطَةِ فَيُثَبِّتَ الْعَدْوَى الَّتِي نَقَّاهَا الشَّارِعُ ، وَإِلَى هَذَا الْقَوْلِ ذَهَبَ أَبُو عُبَيْدٍ وَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ ؛ فَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : لَيْسَ فِي قَوْلِهِ : « لَا تُورِدُوا الْمُمْرِضَ عَلَى الْمُصِحِّ » إِثْبَاتُ

الْعَدَوَى ؛ بَلْ لِأَنَّ الصُّحَّاحَ لَوْ مَرَضَتْ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ تَعَالَى
رُبَّمَا وَقَعَ فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْعَدَوَى فَيُفْتَنَ
وَيَتَشَكَّكَ فِي ذَلِكَ ؛ فَأَمَرَ بِاجْتِنَابِهِ .

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ : الصُّوَابُ عِنْدَنَا الْقَوْلُ بِمَا صَحَّ بِهِ
الْخَبَرُ ، وَأَنْ لَا عَدَوَى ، وَأَنَّهُ لَا يُصِيبُ نَفْسًا إِلَّا مَا كُتِبَ
عَلَيْهَا . وَأَمَّا دُنُو عَلِيلٍ مِنْ صَحِيحٍ فَغَيْرُ مُوجِبٍ إِنْتِقَالِ الْعِلَّةِ
لِلصَّحِيحِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِذِي صِحَّةٍ الدُّنُو مِنْ صَاحِبِ
الْعَاهَةِ الَّتِي يَكْرَهُهَا النَّاسُ ؛ لَا لِتَحْرِيمِ ذَلِكَ ، بَلْ لِخَشْيَةِ
أَنْ يَظُنَّ الصَّحِيحُ أَنَّهُ لَوْ نَزَلَ بِهِ ذَلِكَ الدَّاءُ أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ دُنُوهِ
مِنَ الْعَلِيلِ ؛ فَيَقَعَ فِيمَا أَبْطَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْعَدَوَى .

قَالَ : وَلَيْسَ فِي أَمْرِهِ بِالْفِرَارِ مِنَ الْمَجْدُومِ مُعَارَضَةً
لِأَكْلِهِ مَعَهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِالْأَمْرِ عَلَى سَبِيلِ الْإِزْشَادِ
أَخْيَانًا وَعَلَى سَبِيلِ الْإِبَاحَةِ أُخْرَى ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ الْأَوَامِرِ
عَلَى الْإِزْشَامِ ؛ إِنَّمَا كَانَ يَفْعَلُ مَا نَهَى عَنْهُ أَخْيَانًا لِبَيَانِ أَنَّ
ذَلِكَ لَيْسَ حَرَامًا .

وَلِذَلِكَ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمُفْهِمِ» : إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ إِيْرَادِ الْمُمْرِضِ عَلَى الْمُصِیْحِ مَخَافَةَ الْوُقُوعِ فِیْمَا وَقَعَ فِیْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِیَّةِ مِنْ إِغْتِقَادِ الْعَدَوِیِّ ، أَوْ مَخَافَةَ تَشْوِیْشِ النُّفُوسِ وَتَأْثِیْرِ الْأَوْهَامِ ، وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ : «فِرٌّ مِنْ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ» ، وَإِنْ كُنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ الْجُذَامَ لَا يُغْدِي ؛ لَكِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا نَفْرَةً وَكَرَاهِیَّةَ لِمُخَالَطَتِهِ ، حَتَّى لَوْ أَكْرَهَ إِنْسَانٌ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْبِ مِنْهُ وَعَلَى مُجَالَسَتِهِ لَتَأَذَّتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ ؛ فَحِیْثُذِ فَالْأَوَّلَى لِلْمُؤْمِنِ أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ إِلَى مَا یَحْتَاجُ فِیْهِ إِلَى مُجَاهَدَةٍ ؛ فَیَجْتَنِبُ طُرُقَ الْأَوْهَامِ ، وَیُبَاعِدُ أَسْبَابَ الْآلَامِ ، مَعَ أَنَّهُ یَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا یُنْجِیَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي جَمْرَةَ : الْأَمْرُ بِالْفِرَارِ مِنَ الْأَسَدِ لَيْسَ لِلْوُجُوبِ ، بَلْ لِلشَّفَقَةِ ؛ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ یَنْهَى أُمَّتَهُ عَنْ كُلِّ مَا فِیْهِ ضَرَرٌ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ ، وَیَدُلُّهُمْ عَلَى كُلِّ مَا فِیْهِ خَیْرٌ .

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الطُّبِّ أَنَّ الرُّوَاحِ تُحْدِثُ فِي
الْأَبْدَانِ خَلَلًا ؛ فَكَانَ هَذَا وَجْهَ الْأَمْرِ بِالْمُجَانِبَةِ ، وَقَدْ أَكَلَ
النَّبِيُّ ﷺ مَعَ الْمَجْذُومِ ، فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِمُجَانِبَتِهِ عَلَى
الْوُجُوبِ لَمَا فَعَلَهُ .

قَالَ : وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ بِأَنَّ الْقَوْلَ هُوَ
الْمَشْرُوعُ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِ الْمُخَاطَبِينَ ، وَفِعْلِهِ حَقِيقَةُ
الْإِيمَانِ ، فَمَنْ فَعَلَ الْأَوَّلَ أَصَابَ السُّنَّةَ وَهِيَ أَثَرُ
الْحِكْمَةِ ، وَمَنْ فَعَلَ الثَّانِي كَانَ أَقْوَى يَقِينًا ؛ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ
كُلَّهَا لَا تَأْثِيرَ لَهَا إِلَّا بِمُقْتَضَى إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقْدِيرِهِ ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

فَمَنْ كَانَ قَوِيَّ الْيَقِينِ فَلَهُ أَنْ يَتَابِعَهُ ﷺ فِي فِعْلِهِ
وَلَا يَضُرَّهُ شَيْءٌ ، وَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ ضَعْفًا فَلْيَتَّبِعْ أَمْرَهُ
فِي الْفِرَارِ ؛ لِئَلَّا يَدْخُلَ بِفِعْلِهِ فِي إِقَاءِ نَفْسِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ .

فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي يُتَوَقَّعُ مِنْهَا الضَّرَرُ وَقَدْ

أَبَاحَتْ الْحِكْمَةُ الرَّبَّانِيَّةَ الْحَذَرَ مِنْهَا ؛ فَلَا يَتَّبِعِي لِلضُّعْفَاءِ
أَنْ يَتَرَبُّوْهَا ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الصُّدُقِ وَالْيَقِينِ فَهُمْ فِي ذَلِكَ
بِالْخِيَارِ .

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْحُكْمَ لِلْأَكْثَرِ ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ مِنَ
النَّاسِ هُوَ الضُّعْفُ ؛ فَجَاءَ الْأَمْرُ بِالْفِرَارِ بِحَسَبِ ذَلِكَ .

وختلاصة القول في أمر العدوى: أنه لا عدوى ، ولا
يصيب نفساً إلا ما كتب الله لها أو عليها ، ولكن الابتعاد
عما يشير الريبة والشك ويقدح في اليقين والتوكل وتصديق
الأحاديث ؛ هو الواجب على كل مكلف ، والله أعلم .
ويظل العمل بالحديثين معاً : لا عدوى ولا طيرة ،
وفر من المجذوم فرارك من الأسد .



مشاهد العبودية في المرض

أولاً: مشهد تربية الله لعبده

قال سبحانه : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] ، فالعبد في هذه الدنيا مبتلى بالسراء والضراء ، والدنيا دار ابتلاء ، والله يربي عبده بالأمرين ؛ ليبلى شكره في النعماء والرخاء وصبره وتسليمه في المحن والابتلاء . قال سبحانه : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣] .

وفي قضية ابتلاء المرض تحديداً فالعبد الذي يعرف ربه ونفسه يشهد في مرضه الذل والانكسار وشدة الحاجة لله ^{سبحانه} والافتقار ، وسبحان الحكيم العليم

المتصرف في خلقه بالابتلاء ؛ ليلو صبرهم ويظهر جواهرهم ، ويرفع إليه من لا تُقِيمُهُ أَعْمَالُهُ ، وسبحان الله ! كم من قلوبٍ لا تنكسر إلا بالمرض ! وكم أذل المرض المتكبرين ، وأرجع إلى الله قوماً لم يكونوا إليه راجعين ، ولا عن رضا له طائعين ! وهذا كله من رحمة الله ولطفه وعنايته بالعباد وحسن تربيته لهم ؛ لتعود إليه القلوب وقد لانت وانقادت ، فسبحان القاهر القهار العزيز الجبار الذي يكسر قلباً ويجبر آخر !

ثانياً، مشهد الفهم عن الله

لا بد من وقفة تدبر وتأمل عند وقوع البلاء ، فبعد تثبيت يقين أن الله رحيم ، وأن الله حكيم ؛ يتوقف الإنسان لينظر في سبب وقوع البلاء ، ثم يُسَلِّمُ لله العليم الحكيم تسليم مملوكٍ لحكيم .. وَلَيْسَأَلُ : هل ما أصابك بذنوبك ؟ أم أن الله يرفع درجاتك بالمرض ؟

إن كانت الأولى - وهي الأغلب - فالتوبة من الذنوب والمعاصي واجبة وهي في المرض أوجب .

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ : غالب البلاء يكون عقوبة .

وإن كانت الثانية ؛ فالحمد لله والثناء والشكر على تودد الله للعبد وتقريبه إليه لوازم يقوم بها العبد فرحاً بفضل الله عليه واصطفائه له ؛ لتطهيره وتمحيصه بالمرض .

عن هلال بن يساف قال : كنا قعوداً عند عمار بن ياسر فذكروا الأوجاع ، فقال أعرابي : ما اشتكيت قط ، فقال عمار : « ما أنت منا - أو لست منا - ؛ إن المسلم ليبتلى ببلاء فتحط عنه ذنوبه كما يُحطُّ الورق من الشجر ، وإن الكافر - أو قال : الفاجر - ، يبتلى ببلاء فمثله مثل بعير أطلق فلم يدرِ لِمَ أُطلق ، وَعُقِلَ فلم يدرِ لِمَ عُقِلَ » .

فهو لم يفهم لماذا مرض ، ولم يفهم لماذا شَفِي !!

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا الفهم عندك .

ثم إنَّ البلاء على قدر الرجال في الهمة والدين ، قال رسول الله ﷺ : « فَيَبْتَلِي الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ؛ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَسْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » (صحيح الترغيب والترهيب : ٣٤٠٢) .

لا بد أن نفهم حقيقة البلاء والعافية ؛ فإن البلاء في الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها ، والعافية المطلقة هي الطاعات وعواقبها ، فأهل البلاء هم أهل المعصية وإن عوفيت أبدانهم ، وأهل العافية هم أهل الطاعة وإن مرضت أبدانهم ؛ فإن أهل البلاء الحقيقيون هم المبتلون بمعاصي الله والإعراض والغفلة عن الله .

وعن فقه الابتلاء يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ :

« من الجهل أن يخفى على الإنسان مراد التكليف ؛ فإنه موضوع على عكس الأغراض ؛ فينبغي للعاقل أن يأنس بانعكاس الأغراض ، فإن دعا وسأل بلوغ غرض

تَعَبَّدَ اللهُ بالدعاء ، فَإِنْ أُعْطِيَ مراده شَكَرَ ، وَإِنْ لَمْ يَنْلُ مراده فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُلِحَّ فِي الطَّلَبِ ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لِبُلُوغِ الْأَغْرَاضِ ، وَلِیَقْلَ لِنَفْسِهِ : ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

وَمَنْ أَعْظَمَ الْجَهْلُ أَنْ يَمْتَعِضَ فِي بَاطِنِهِ لَانْعِكَاسِ أَغْرَاضِهِ ، وَرَبَّمَا اعْتَرَضَ فِي الْبَاطِنِ أَوْ رَبَّمَا قَالَ : حَصُولُ غَرَضِي لَا يَضُرُّ وَدَعَائِي لَمْ يُسْتَجِبْ ، وَهَذَا كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى جَهْلِهِ وَقِلَّةِ إِيْمَانِهِ وَعَدَمِ تَسْلِيمِهِ لِلْحِكْمَةِ ؛

وَمَنْ الَّذِي حَصَلَ لَهُ غَرَضٌ ثُمَّ لَمْ يُكَدِّرْ؟

هَذَا آدَمُ طَابَ عَيْشُهُ فِي الْجَنَّةِ وَأُخْرِجَ مِنْهَا ، وَنُوحٌ سَأَلَ اللَّهَ فِي ابْنِهِ فَلَمْ يُعْطَ مراده ، وَالْخَلِيلُ ابْتُلِيَ بِالنَّارِ ، وَإِسْمَاعِيلُ بِالذَّبْحِ ، وَيَعْقُوبُ بِفَقْدِ الْوَلَدِ ، وَيُوسُفُ بِمُجَاهَدَةِ الْهَوَى ، وَأَيُّوبُ بِالْبَلَاءِ ، وَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ بِالْفِتْنَةِ ، وَجَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى هَذَا ، وَأَمَّا مَا لَقِيَ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْجُوعِ وَالْأَذَى وَكَدَرِ الْعَيْشِ فَمَعْلُومٌ .

فالدنيا وضعت للبلاء ؛ فينبغي للعاقل أن يوطن نفسه على الصبر ، وأن يعلم أن ما حصل من المراد فلطف ، وما لم يحصل فعلى أصل الخلق والجيلة للدنيا ، كما قيل :

طَبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدُّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ

وهاهنا تتبين قوة الإيمان وضعفه ، فليستعمل المؤمن من أدوية هذا المرض التسليم للمالك والتحكيم لحكمته ، وليقل : قد قيل لَسَيِّدُ الْكُلِّ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، ثم لِيُسَلِّ نفسه بأن المنع ليس عن بخل ؛ وإنما هو لمصلحة لا يعلمها ، وليؤجر الصابر عن أغراضه ، وليعلم الله الذين سلموا ورضوا .

وإن زمن الابتلاء مقدار يسير ، والأغراض مُدْخَرَةٌ تُلقَى بعد قليل ، وكأنه بالظلمة قد انجلت وبفجر الأجر قد طلع .

ومتى ارتقى فهمه إلى أن ما جرى مراد الحق سبحانه ؛ اقتضى إيمانه أن يريد ما يريد ، ويرضى بما

يقدّر ؛ إذ لو لم يكن كذلك كان خارجاً عن حقيقة العبودية في المعنى ، وهذا أصل ينبغي أن يتأمل ويعمل عليه في كل غرضٍ انعكس .

ويقول ابن القيم لِيُبَيِّنَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ مَنَعَ اللَّهُ وَتَجَلَّى لِعَبْدِهِ عَطَاءً ، وَابْتِلَاءًهُ إِيَّاهُ عَافِيَةٌ :

« فإنه - سبحانه - لا يقضي لعبده المؤمن قضاءً إلا كان خيراً له ، ساء ذلك القضاء أو سرّه . فقضاؤه لعبده المؤمن عطاءً ، وإن كان في صورة المنع ، ونعمة وإن كانت في صورة محنة ، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية ، ولكن لجهل العبد وظلمه لا يَعُدُّ العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذّب به في العاجل وكان ملائماً لطبعه ، ولو رزق من المعرفة حظاً وافراً لَعُدَّ المنع نعمة ، والبلاء رحمة ، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية ، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنّى ، وكان في حال القِلّة أعظم شكراً من حال الكثرة .

إِذَا فَالْزَاضِي : هو الذي يَعُدُّ نعم الله عليه فيما يكرهه أكثر وأعظم من نِعَمِهِ عليه فيما يُحِبُّه ؛ كما قال بعض السلف : اَرْضَ عَنِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ بِكَ ؛ فَإِنَّهُ مَا مَنَعَكَ إِلَّا لِيُعْطِيَكَ ، وَلَا ابْتِلَاكَ إِلَّا لِيُعَافِيَكَ ، وَلَا أَمْرُضَكَ إِلَّا لِيَشْفِيَكَ ، وَلَا أَمَاتَكَ إِلَّا لِيَحْيِيَكَ . فَإِنَّكَ أَنْ تَفَارِقَ الرِّضَى عَنْهُ طَرْفَةً عَيْنٍ ؛ فَتَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ .

ثالثاً، مشهد الصبر على معاناة المرض

الصبر . . وما أدراك ما الصبر ! الصبر لله ﷻ هو مقام الأكابر ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ فِي الصَّبْرِ ؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ نَوْعَانِ :

صبر الكرام : وهو الصبر مع الرضا والتسليم في الظاهر والباطن ، قالوا : الصبر هو تجرع مرارة الألم من غير تعبير في الوجه .

والصبر في تعريفه : هو الحبس ، والحبس نوعان : حبس القلب عن التسخط ، وحبس اللسان عن الشكوى .

أما صبر اللئام؛ فهو الاستمساك والتجلد في الظاهر مع الاعتراض والضجر والتأفف في الباطن ، مع كثرة الشكوى واستعجال المعافاة .

فاصبر أخي الكريم صبر الكرام ؛ تفز بجائزتين : أمّا في الدنيا فهي سلامة الباطن وراحة البال ، وأمّا في الآخرة فبرضا الله الملك ذي الجلال ، ﴿ إِنَّمَا يُؤَقِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] .

ويهُون الألم إذا كان لله ، ويهُون الصبر مهما طال إذا كان البلاء من حبيبٍ توقن أنه لا يريد لك إلا الخير وحسن العاقبة ، وَيُهِوّنُ المرض والبلية أنها لم تكن في دينك ، ويصبرك كذلك في رحلة المرض علمك بأن للبلايا نهايات معلومة الوقت عند الله عَزَّوَجَلَّ ، وكلُّ آتٍ قريب .

فالصبر الصبر حتى ينقضي أوان المرض ؛ فإن استعجال زوال البلاء مع تقدير مدته لا ينفع ، كما أن الجزع لا يفيد بل يفضح صاحبه ، وعليك بكثرة الدعاء فإنه نعم المعتمد ؛ ولكن لا ينفع الدعاء بدون الصبر ؛

فلا تستعجل بالدعاء وحده ، وتعبّد بالصبر والدعاء والتسليم إلى الحكيم معاً ؛ فالمستعجل معترض ، والاعتراض حرام ، وليس هذا مقام العبودية ؛ وإنما المقام الأعلى هو الرضا ، والصبر هو اللازم ؛ فافهم هذه الأشياء فإنها تهوّن البلاء .

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ : ليس في التكاليف أصعب من الصبر على القضاء ، ولا فيه أفضل من الرضى به ؛ فأما الصبر : فهو فرض وأما الرضى فهو فضل ؛ وإنما الصبر لأن القدر يجري في الأغلب بمكروه النفس ، وليس مكروه النفس يقف على المرض والأذى في البدن ؛ بل هو يتنوع حتى يتحير العقل في حكمة جريان القدر .

فيحتاج المؤمن إلى الصبر على ما يلقي من الضر في الدنيا ، وعلى جدال إبليس في ذلك .

كما قيل لبعض أهل البلاء : ادع الله بالعافية ؛ فقال : أحبه إليّ أحبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ .

إِنْ كَانَ رِضَاكُمْ فِي سَهْرِي فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَى وَسْنِي

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «طريق الهجرتين» :

والصبر على البلاء ينشأ من أسباب عديدة :

أحدها : شهود جزائها وثوابها .

الثاني : شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها .

الثالث : شهود القدر السابق الجاري بها ، وأنها مقدره في أم الكتاب قبل أن تخلق فلا بد منها ، فجزعه لا يزيده إلا بلاء .

الرابع : شهوده حق الله عليه في تلك البلوى ، وواجهه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمة ، أو الصبر والرضا على أحد القولين ، فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى ؛ فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه .

الخامس : شهود ترتبها عليه بذنبه كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

كثير ﴿[الشورى: ٣٠]، فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة، قال علي بن أبي طالب عليه السلام: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رُفِعَ إلا بتوبة.

السادس: أنه يعلم أن الله قد ارتضاها له واختارها وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي به سيده ومولاه، فإن لم يُوفَّ قَدْرَ المقام حقه فهو لضعفه؛ فليُنزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.

السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به؛ فليصبر على تجرعه، ولا يتقيؤه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.

الثامن: أن يعلم أن في عقبي هذا الدواء من الشفاء والصحة والعافية وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته؛ فليُنظر إلى عاقبته

وحسن تأثيره ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ، وفي مثل هذا قال القائل :

لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ

التاسع : أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتقتله وتهلكه ؛ وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتيه ، فيتين هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا ؟ فإن ثبت اصطفاؤه واجتباؤه وخلع عليه خلع الإكرام وألبسه ملابس الفضل ، وجعل أوليائه وحزبه خدماً له وعوناً له ، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طُرِدَ وَصْفِعَ قَفَاهُ وَأُقْصِيَ ، وتضاعفت عليه المصيبة ، وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها ، ولكن سيعلم بعد ذلك أن المصيبة في حقه صارت مصائب ، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعمًا عديدة .

فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء ، فإن

قويت أثمرت الرضا والشكر ، فنسأل الله أن يسترنا بعافيته ، ولا يفضحنا بابتلائه بِمَنِّهِ وكرمه .

رابعًا، مشهد الرضا والتسليم

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ :

«المؤمن في الشدة ينبغي أن يراعي الساعات ويتفقد فيها أحوال النفس ، ويتلمح الجوارح مخافة أن يبدو من اللسان كلمة أو من القلب تسخُّط ، فكأنَّ قد لاح فجرُ الأجرِ فانجاب ليل البلاء ، ومدح الساري بقطع الدُّجى ، فما طلعت شمسُ الجزاء إلا وقد وصل إلى منزل السلامة .

ولقد رأيتُ كثيرًا من المغفلين يظهر عليهم السخَط بالأقدار ، وفيهم من قل إيمانه فأخذ يعترض ، وفيهم من خرج إلى الكفر ورأى أن ما يجري كالعبث ، وقال : ما فائدة الإعدام بعد الإيجاد والابتلاء ممن هو غنيٌّ عن أذانا؟

وبحك ! أخضر عقلك واسمع ما أقول :

أليس قد ثبت أن الحق سبحانه مالك ، وللمالك أن يتصرف كيف يشاء ؟

أليس قد ثبت أنه حكيم والحكيم لا يعبث ؟!

فلا تعترض على الله بعقلك ، ولا تنكر الحكمة إذا لم تتوصل إليها بفهمك .

فلم يبق إلا أن نضيف العجز عن فهم ما يجري إلى أنفسنا ، ونقول : هذا فعل عالم حكيم ؛ ولكن لا يبين لنا معناه ، ولا نفهم حكمته ، ولم تتوصل عقولنا إلى سببه .

وليس هذا بعجب ؛ فإن موسى عليه السلام خفي عليه وجه الحكمة في نقض السفينة الصحيحة وقتل الغلام الجميل ، فلما بين له الخضر وجه الحكمة أذعن ؛ فلنكن مع الخالق على الأقل كموسى مع الخضر .

فنسأل الله عز وجل عقلاً مسلماً يقف على حده ، ولا يعترض على خالقه وموجدِهِ ، ثم الويل للمعارض ، أيردُ

اعتراضه الأقدار؟! !! فما يستفيد إلا الخزي ، نعوذ بالله
ممن خذل .

ومن ثمَّ فإن الرضى من جملة ثمرات المعرفة ، فإذا
عرفته رضيت بقضائه ، وقد يجري في ضمن القضاء
مرارات يجد بعض طعمها الراضي ، أما العارف فتقل
عنده المرارة لقوة حلاوة المعرفة ، فإذا ترقى بالمعرفة
إلى المحبة ؛ صارت مرارة الأقدار حلاوة ، كما قال
القائل :

عَذَابُهُ فِيكَ عَذْبٌ وَيُعْذُّهُ فِيكَ قُرْبُ
وَأَنْتَ عِنْدِي كَرُوحِي بَلْ أَنْتَ مِنْهَا أَحَبُّ
حَسْبِي مِنَ الْحُبِّ أَنِّي لِمَا تُحِبُّ أَحَبُّ
وقال بعض المحبين في هذا المعنى :

وَيَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ

فذلك الغنى الأكبر ووافقراه !

خامسًا، مشهد الرحمة

قال الله ﷻ : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذِكْرًا لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤]، ها هنا توسل أيوب ﷺ برحمة الله ؛ واستجاب الله وأعطاه من رحمته .

قال شريح القاضي رَحِمَهُ اللهُ : ما أَصِيبَ عَبْدٌ بِمُصِيبَةٍ ؛ إلا كان لله عليه فيها ثلاثٌ نعم :

الأولى : ألا تكون كانت في دينه .

الثانية : ألا تكون أعظم مما كانت .

الثالثة : أنها لا بد كائنة ؛ فقد كانت .

إننا حين نمرض - نسأل الله العافية - ينبغي أن نشهد بقلوبنا رحمة الله بنا في المرض ؛ فنشهد المنحة في طي المحنة ؛ بأن نوقن بأن منع الله هو عين العطاء ، وأنه

سبحانه رحيمٌ رحمنٌ بعباده حتى في الابتلاء ؛ لحبه لعبده وعلمه بضعفه .

وتأمل معي قوله تعالى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم : ٤١] ، فتدبر قوله ﷻ : ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ يعاقبهم بشيء يسير من خطاياهم ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمَا مِنْ ذَاتِكُمْ وَلَكِنَّ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبْكَ اللَّهُ كَانَ يَبْكَاةً بَصِيرًا﴾ [فاطر : ٤٥] .

وقال عز وجل : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : ١٥٥] ، وتدبر قوله ﷻ : ﴿بِشَيْءٍ﴾ ، شيء بسيط ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠] ، فكل ما نبتلى به من مرض وغيره مهما بلغ حجمه لا يساوي شيئاً بالنسبة لأخطائنا ومعاصينا التي نبارز بها ربنا كل يوم . . نستحق

أكثر من هذا ؛ ولكنه رحيم ﷻ : ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص : ٨٢] .

فَلنُحَمِّدِ الله على أن البلاء في البدن لا الدين ؛ فهذا من رحمة الله ، قال أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ - وقد ظل رهيناً للمرض ثمان عشرة سنة - : الحمد لله على أن لي قلباً شاكراً ولساناً ذاكرًا ؛ فكل مصيبة في غير دين المرء تنقضي حتمًا سريعة ولو بعد حين .

ولنُحَمِّدِ الله ثانيةً على أن مرضنا لم يكن في كل جسدنا ؛ بل في عضو أو عضوين فقط ، ولننظر إلى من هم أكثر بلاءً ومرضًا منا ؛ فما نحن فيه يَهُونُ بالنسبة لمرضى آخرين ، ولتتغزى بأهل البلاء الشديد من المعذبين والمضطهدين وأهل الأسر المساكين .

أصيب رجلٌ من السلف في أصبعه بقيح ، فأشفق عليه صديقٌ له ؛ فقال : الحمد لله على أنه لم يخرج في عيني أو دبري ، وهذا أيضًا من رحمة الله ؛ فإن كان أخذ فقد أبقى ، وإن كان منع شيئًا فقد أعطى أشياء .

وإذا كان ما بك من مرض مقدراً مكتوباً ؛ فقد وقع ولن يخطئك أبداً ، وهذا أيضاً من رحمة الله ؛ فإن فيما وقع منحنى ربانية يسوقها الله إليك في صورة محن ؛ فاحمد الله على رحمته بك ورفقه ورأفته ؛ وصدق وهو أصدق القائلين في الحديث القدسي : « إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » .

(البخاري : ٦٩٨٦ ، ومسلم : ٢٧٥١) .

وقال : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ، فالله عز وجل أرفأ بعباده وألطف بهم وأحن عليهم من أمهاتهم وأهليهم ، وهو سبحانه الذي يخفف المرض ويزيله ويأتي بنسيم العافية وفيوضات الرحمة على قلب المريض ؛ ولذلك لا تجد مريضاً إلا رقيق القلب رحيمًا .

فاشهد رحمته سبحانه ؛ تُخَفَّفْ عَنَّاكَ وَتُرْطَبْ الْمَلِكُ .

أصيب رجلٌ في عينيه ، فعاده رجلٌ فقال له : ما أصعب العمى على من كان بصيراً ؛ فقال له : والله إني وِدِدْتُ أَنْ الله وهب لي كُنَّةً محبته ثم لم يدع لي جارحةً إلا أخذها !!

سادسًا، مشهد ملاحظة الجزاء ومطالعة الآخرة

قال ﷺ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوًا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، وقال النبي ﷺ: «يُودُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ؛ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيطِ».

(حسن، الصحيحة: ٢٢٠٦).

أخي الحبيب..

قد مر بنا في ثنايا هذه الرسالة ثواب الصابرين المحتسبين، والدنيا معبر وممر والآخرة مقر ومستقر، الآخرة هي دار الثواب والجزاء والقرار.

فمن تعلق قلبه بالآخرة وما فيها لم يبتس في هذه الدنيا قط، وإن مضت كلها في تناغيص البلاء، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُضْبَعُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ

يَارَبُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ،
فَيُضْبَعُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيَقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ
بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَاللَّهِ يَارَبُّ مَا
مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ » (مسلم : ٢٨٠٧) .

فغمسة واحدة في الدار الآخرة تزيل الدنيا وكل آثارها ؛
فتأمل !!

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ :

« لا ينبغي للمؤمن أن ينزعج من مرض أو نزول
موت ، وإن كان الطبع لا يملك .

إلا أنه ينبغي له التصبر مهما أمكن ؛ إما لطلب الأجر
بما يعاني ، أو لبيان أثر الرضى بالقضاء ، وما هي إلا
لحظات ثم تنقضي ، وليتفكر المعافى من المرض في
الساعات التي كان يقلق فيها أثناء المرض أين هي في
زمان العافية ؟ ذهب البلاء وحصل الثواب ، كما تذهب

حلاوة اللذات المحرمة ويبقى الوزر ، ويمضي زمان
التسخط بالأقدار ويبقى العتاب ، وهل الموت إلا آلام
تزيد فتعجزُ النفسُ عن حملها فتذهب ؛ فليتصور
المريض وجود الراحة بعد رحيل النفس و قد هان ما
يلقى ، كما يتصور العافية بعد شرب الشربة المرة .

فالسعيدُ من وُفِّقَ لاغتنام العافية ، ثم يختار تحصيل
الأفضل فالأفضل في زمن الاغتنام ، وليعلم أن زيادة
المنازل في الجنة على قدر التزيد من الفضائل ههنا ،
والعمر قصير والفضائل كثيرة ؛ فليبالغ في البدار .

فيا طولَ راحةِ التعب ، ويا فرحةَ المغموم ،

ويا سرورَ المحزون !!!

ومتى تخايل دوام اللذة في الجنة من غير منغص ولا
قاطع ؛ هان عليه كُلُّ بلاءٍ وشدة .

سابعًا، مشهد التفكير في أسرار تأخر الإجابة

أخي الحبيب ..

أخشى أن أكون قد أطلت عليك ، فأرجو الله يا حبيبي
ألا تمل مني ؛ فإنما أريد أن أؤنسك وأن أشاركك
أفكارك ، وإنني مازلت أفتش في رأسك ، وأناقشك في
كل ما يجول بخاطرك ، وأراك الآن قد تقول : الصبر ..
الصبر .. الصبر ... إلى متى ؟ !

ها أنا قد صبرت ، وها أنا قد عبدت ، وها أنا قد
دعوت ، فإلى متى ؟ وما سبب تأخير الإجابة ؟ !

ودعني أترك الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ يجيب لك
على هذا التساؤل ؛ لتعلم أنه واردٌ على كل الناس ،
والإجابة عليه سهلة .

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ :

رأيتُ من البلاء العجائب أنَّ المؤمن يدعو فلا

يُجاب ، فيكرر الدعاء ، وتطول المدة ولا يرى أثرًا للإجابة ؛ فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر ، وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب ، ولقد عَرَضَ لي من هذا الجنس ؛ فإنه نزلت بي نازلة فدعوت وبالغت فلم أر الإجابة ؛ فأخذ إبليس يَجُول في حلقات كيده ؛ فتارة يقول : الكرم واسع والبخل معدوم ؛ فما فائدة تأخير الجواب ؟ فقلت له : اخسأ يا لعين ؛ فما أحتاج إلى تقاضي ، ولا أرضاك وكيلاً .

ثم علت إلى نفسي فقلت : إياك ومساكنة وسوسته ؛ فإنه لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يَتَلَوَّكِ الْمُقَدَّرُ في محاربة العدو لكفى في الحكمة .

قالت : فَسَلَّنِي عن تأخير الإجابة في مثل هذه النازلة .
فقلت : قد ثبت بالبرهان أن الله يَرْزُقُ مالك ، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء ، فلا وجه للاعتراض عليه .

والثاني : أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة ، فربما رأيت الشيء مصلحة لكن الحق أن الحكمة لا تقتضيه ، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة ؛ فلعل هذا من ذاك .

والثالث : أنه قد يكون التأخير مصلحة ، والاستعجال مضره ، وقد قال النبي ﷺ : « لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْإِسْتِعْجَالُ ؟ قَالَ : « يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي ؛ فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ » (مسلم : ٢٧٣٥) .

والرابع : أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك ؛ فربما يكون في مأكولك شبهة ، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة ، أو تزداد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه .

والخامس : أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب ؛ فربما كان في حصوله زيادةٌ إثم ، أو تأخيرٌ عن مرتبةٍ خير ؛ فكان المنعُ أصلح .

وقد رُوِيَ عن بعض السلف أنه كان يسأل الله الغزو ، فهتف به هاتف : إنك إن غزوت أُسِرْتَ ، وإن أُسِرْتَ تَنَصَّرْتَ .

والسادس : أنه ربما كان فقد ما تفقدينه سبباً للوقوف على الباب واللجأ ، وحصوله سبباً للاشتغال به عن المسؤول ، وهذا الظاهر ؛ بدليل أنه لولا هذه النازلة ما رأيناك على باب اللجأ .

فالحق سُبْحَانَهُ علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه ، فلذعهم في خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه ، يستغيثون به ، فهذا من النعم في طي البلاء ؛ **وإنما البلاء المحض ما يشغلك عنه ، فأما ما يُقِيمُكَ بين يديه ففيه جمالك .**

وإذا تدبرت هذه الأشياء تشاغلتي بما هو أنفع لك ،
من حصول ما فاتك : من رفع خللي ، أو اعتذار من
زلل ، أو وقوف على الباب إلى رب الأرباب .

**وبحكي ابن الجوزي - محلاً ومدققاً ومناقشاً - موقفاً
آخر مع نفسه فيقول :**

«نزلت في شدة وأكثرت من الدعاء أطلب الفرج
والراحة ، وتأخرت الإجابة ، فانزعجت النفس وقلقت ؛
فصحت بها : ويلك ؛ تأملي أمرَك ، أمملوكَ أنت أم
حُرَّة مالكة ؟ أمدبرة أنت أم مدبرة ؟

أما علمت أن الدنيا دار ابتلاء واختبار ، فإذا طلبت
أغراضك ولم تصبري على ما ينافي مرادك ؛ فأين
الابتلاء ؟ وهل الابتلاء إلا الإعراض وعكس المقاصد ؟
فافهمي معنى التكليف وقد هان عليك ما عز ، وسهل ما
استصعب ، فلما تدبرْت ما قلته سكنت بعض السكون .

فقلت لها : وعندي جواب ثانٍ : وهو أنك تقتضين الحق بأغراضك ، ولا تقتضين نفسك بالواجب له ، وهذا عين الجهل ، وإنما كان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس ؛ لأنك مملوكة ، والمملوك العاقل يطالب نفسه بأداء حق المالك ، ويعلم أنه لا يجب على المالك تبليغه ما يهوى ؛ فسكنت أكثر من ذلك السكون .

فقلت لها : وعندي جواب ثالث : وهو أنك قد استبطأت الإجابة وأنت سدديت طرقها بالمعاصي ؛ فلو قد فتحت الطريق أسرع ، كأنك ما علمت أن سبب الراحة التقوى ، أو ما سمعت قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣] ، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤] ، أو ما فهمت أن العكس بالعكس ؟

آه من سُكْرِ غفلة صار أقوى من كل سُكْر في وجه مياه المراد يمنعها من الوصول إلى زرع الأمانى ؛ فعرفت

النفسُ أن هذا حقُّ فاطمأنت .

فقلت لها : وعندي جوابٌ رابع : وهو أنك تطلبين ما لا تعلمين عاقبته ، وربما كان فيه ضررك ، فمثلك كمثلي طفلٌ محموم يطلب الحلوى ؛ والمدبرُ لك أعلمُ بالمصالح ، كيف وقد قال الله : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ، فلما بان الصواب للنفس في هذه الأجوبة ؛ زادت طمأنيتها .

فقلت لها : وعندي جوابٌ خامس : وهو أن هذا المطلوب يُنقصُ من أجرك ، ويُحط من مرتبتك ؛ فمنع الحق لك ما هذا سبيله عطاء منه لك ، ولو أنك طلبت ما يصلح آخرتك ؛ كان أولى لك ، فأولى لك أن تفهمي ما قد سَرَحْتُ .

فقالت : لقد سَرَحْتُ في رياض ما سَرَحْتُ ؛ فهِمْتُ إذ فهِمْتُ !!! .

ثم يؤكد ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ على أن المؤمن الحق هو من إذا اشتد به البلاء زاد إيماناً ؛ فليس المؤمن بالذي يؤدي فرائض العبادات صورة ويتجنب المحظورات فحسب ؛ إنما المؤمن هو الكامل الإيمان ، لا يختلج في قلبه اعتراض ، ولا يساكن نفسه فيما يجري وسوسة ، وكلما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه وقوي تسليمه ، وقد يدعو فلا يرى للإجابة أثراً ، وسره لا يتغير لأنه يعلم أنه مملوك وله مالك يتصرف بمقتضى إرادته ، فإنه اختلج في قلبه اعتراض خرج من مقام العبودية إلى مقام المناظرة ، كما جرى لإبليس .

والإيمان القوي يبين أثره عند قوة البلاء ، فلم يبق إلا التسليم للمالك وإن أمض وأر مض .

وقد ذهب يوسف بن يعقوب رَحِمَهُ اللهُ ، فبكى يعقوب ثمانين سنة ثم لم ييأس ، فلما ذهب ابنه الآخر قال : ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ [يوسف : ٨٣] ؛ فحمله

الله إليهما .

وقد دعا موسى عليه السلام على فرعون ؛ فأجيب بعد أربعين سنة ، وكان يذبح الأنبياء ، وصَلَبَ السحرة ، وقَطَعَ أيديهم .

وكم من بلية نزلت بمعظم القدر ، فما زاده ذلك إلا تسليماً ورضى ؛ فهناك يبين معنى قوله : ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة : ٨] ، وههنا يظهر قدر قوة الإيمان لا في ركعات ، قال الحسن البصري رحمه الله : استوى الناس في العافية ؛ فإذا نزل البلاء تباينوا .

**وفي النهاية ينصحنا شيخنا ابن الجوزي - عليه
رحمات الله المتتابعات السابغات - ، مؤكداً علينا مرة
أخيرة ألا نياسَ من رَوْحِ الله مهما طال المرض أو اشتد
البلاء ، وإن لم نرَ لدعائنا أثراً ، فيقول الشيخ :**

«يَبِينُ إيمان المؤمن عند الابتلاء ؛ فهو يبالغ في الدعاء ولا يرى أثراً للإجابة ، ولا يتغير أمله ورجاؤه ولو

قويت أسباب اليأس ؛ لعلمه أن الحق أعلم بالمصالح ،
أو لأن المراد منه الصبر أو الإيمان ؛ فإنه لم يحكم عليه
بذلك إلا وهو يريد من القلب التسليم ؛ لينظر كيف
صبره ، أو يريد كثرة اللجأ والدعاء .

فأما من يريد تعجيل الإجابة ويتذمر إن لم تتعجل ؛
فذاك ضعيف الإيمان ، يرى أن له حقاً في الإجابة ، وكأنه
يتقاضى أجره عمله ، أما سمعت قصة يعقوب عليه السلام :
بقي ثمانين سنة في البلاء ورجاؤه لا يتغير ، فلما ضم إلى
فقْد يوسف فقْد بنيامين لم يتغير أمله وقال : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ
يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ [يوسف : ٨٣] .

وقد كشف هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ
تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ
الْبَاسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

ومعلوم أن هذا لا يصدر من الرسول والمؤمنين إلا

بعد طول البلاء وقرب اليأس من الفرج ، ومن هذا قول رسول الله ﷺ : « لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ مَا لَمْ يَسْتَغْجِلْ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْإِسْتِغْجَالُ ؟ قَالَ : « يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِبْ لِي ؟ فَيَسْتَخْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ » .

(مسلم : ٢٧٣٥) .

فإياك إياك أن تستطيلَ زمانَ البلاء ، وتضجر من كثرة الدعاء ؛ فإنك مبتلى بالبلاء ، متعبد بالصبر والدعاء ، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء .

وها قد جاءك الفرج ، واقترب أوانُ العافية ..

فاصبر .. واصطر .. وأبشر .. واستبشر .. وأنا أبشرك ..

أبشر حبيبي ..

أبشر أخي ..

أبشر فإن الخير كله قادمٌ بإذن ربك الكريم ..

الخاتمة ، نسأل الله حسننها



حبيبي في الله ..

أسأل الله ألا أكون قد أطلت عليك ، أو أرهقتك ،
ولكني - والله - ما كتبت هذه الرسالة إلا بدافع حبي لك ،
ومن منطلق خوفي عليك ، فاسمع نصيحتي الأخيرة لك .

هيا أخي ..

هلم إلى الشفاء؛ ليكون الشفاء في صدرك : ﴿يَتَأْتِيهَا
النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٥٧] .

تقبل أخي أي مرض أو ابتلاء ، لن يضررك أن تأتي الله
بكل الأمراض طالما أن قلبك سليم : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا
بَنُونَ﴾ ٨٨ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء : ٨٨-٨٩] .

احذر من عدوى الأرواح؛ فالجزع معدٍ ، والسخط وباء ؛

فصن سمعك عمن يجرحون قلبك : ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة : ١٠] .

أنصحك بالعلاج في الداء !! خارج الأرض .. خارج الدنيا : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَتَعَمَّوا فَلَا تَبَاسُوا أَبَدًا » (مسلم : ٢٨٣٧) .

لا تحمل أي هم من هموم الدنيا ، كل ما عليك حمله هو هم الآخرة : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

هذه « روضة العلاج » ، اسكبها في قلبك كل صباح ومساء ، ولن تلجأ بعد اليوم إلا إلى الطبيب الأعظم :
(الله) .

فَهْرِسْت

الصفحة	الموضوع
٥	نداء إلى كل مبتلى
٧	نداء إلى كل مريض
٩	نداء إلى كل معافى
١٠	نداء إلى كل معالج
١١	■ مقدمة
١٩	■ حبيبي : أسير الله في السرير
٢٥	■ الله هو الطبيب
٣٣	■ فضل المرض :
٣٣	• على قدر دينك
٣٩	• المرض كفارة للذنوب
٤٩	• المرض تمحيص

- يكتب لك ما كنت تعمل صحيحًا ٥٨
- خير لك ولغيرك ٦١
- المرض رفع درجات ٦٣
- آداب المريض مع المرض ٦٥
- التداوي : ٧٩
- تحذير الشرع من أسباب الأمراض ٧٩
- التداوي لا ينافي التوكل ٨١
- تداوي النبي ﷺ ٨٧
- مداواة النبي ﷺ للمرضى ٩١
- الصيدلية النبوية ٩٣
- أحكام المريض : ١٤١
- الوضوء ١٤٣
- الصلاة ١٤٦
- الصيام ١٥٠

- الحج والعمرة ١٥٢
- أحكام التدواي ١٥٥
- الخلاصة ١٦٩
- مسألة : لا عدوى ١٧٥
- مشاهد العبودية في المرض : ١٨٥
- مشهد تربية الله لعبده ١٨٥
- مشهد الفهم عن الله ١٨٦
- مشهد الصبر على معاناة المرض ١٩٢
- مشهد الرضا والتسليم ١٩٨
- مشهد الرحمة ٢٠١
- مشهد ملاحظة الجزاء ٢٠٥
- مشهد التفكير في أسرار تأخر الإجابة ٢٠٨
- الخاتمة ٢١٩
- فهرس ٢٢١

الحمد لله

الله



الحمد لله

الحمد لله